الكاتب

زهير أبو سعد

نَظرية

• { لطيزّي } •

و فَن الخَساراتِ الواقعية

ZohirAbosad

zohir.abusad@outlook.com

Zohir Abosad

نظرية : لطيزي

زهير أبو سعد

زهير أبو سعد

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the author Zohir Abu Saad.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الكاتب زهير أبو سعد.

عنوان الكتاب: نظرية لطيزي
اسم المؤلف: زهير أبو سعد
تصميم الغلاف: زهير أبو سعد
تدقيق لغوي: ف ، ج
مقدمة: زهير أبو سعد

الطبعة الأولى 2020 م

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
للكاتب زهير أبو سعد

رقم الإيداع: 2020/7482

Literar-Mechana

نظرية

.{ لطيزي }.

وفن الخسارات الواقعية

زهير أبو سعد

مُقدمة الكاتب

جسدُ روائيٍّ للبيع

سعرُ الليلةِ (194,99) يورو، أنتَ اسمكَ لاجئ، وسوفَ يبقى اسمكَ لاجئًا، أتيتَ من أرضِ الحروبِ والدماءِ والتصفياتِ الطائفيةِ والقوميةِ والعرقيةِ، أحلامُك مرهونةٌ بالقليلِ من الحريةِ والكرامة، إن كانَ لديكَ هدفٌ في الحياةِ سوفَ تحققهُ من بعدِ أن تستهلكَ كلَّ قِواكَ الجسديةِ

والعقلية، وسوفَ تُثبتُ لنفسكَ بأنكَ نجحتَ وأنَّ لديكَ قدرةٌ ولو ضئيلةٌ للتغير، وعندما تصلُ إلى أرضِ الأحلامِ كما يُسميها عشاقُ الديمقراطيةِ عليكَ أن تُتقنَ ثلاثةَ أشياء:

اللغةُ والاندماجُ والالتحاقُ بسوقِ العمل

وهناكَ شرطٌ واحدٌ لكي تحصلَ على هذه الأشياءِ الثلاثة، حتَّى أكونُ معكَ في قمةِ الوضوحِ ألا وهو:

(الابتعادُ الجذريُّ عن العرب)

وعدمُ الاقترابِ منهم حتى ولو كانوا أنبياء، وإذا حاولتَ أن تقتربَ فسوفَ تُقبر كُليا ولن يُنزلوا عليكَ أية وسيلة من وسائلِ الرحمةِ مهما فعلت، طبعًا لا تَستثني منهم أحدًا من سياسيينَ
وإعلاميينَ ومُفكرينَ وأطباءَ ومُدَّعي الشرف والنُّبوة، سوفَ تجدُ بأنهم في معركةٍ دائمةٍ بعضهم مع بعض وشتائمَ
وتُهَمَ ومعاركَ داميةٍ قد تصلُ إلى سُدَّةِ القضاءِ تحتَ تُهَم لا تُسمنُ ولا تُغني من جوع، وبلغةٍ شوارعيةٍ أكثر:

(الشاطر يلي بدو يخرا على الآخر)

عندما تتقنُ الأشياءَ المطلوبة منكَ، أن تتجهَ إلى مكتبِ سوقِ العمل، إذا حالفكَ الحظُّ وكانَ الموظفُ هناكَ من أهلِ البلد، أعتقدُ أنَّ أمَّكَ قد دعتْ لكَ في ليلةِ القدر، - كنايةٌ عن الحظِّ السعيد - وإذا كانَ الموظفُ عربيًّا جديدًا سوفَ ترى نجومَ الظهرِ

وتتمنى لو أنكَ غرقتَ في البحر، ومهما حاولتَ أن تفتحَ نافذةَ أمل، سوفَ يُغلقُ الموظفُ عليكَ كلَّ الأبوابِ حتى ثقوبَ الحياةِ سوفَ يَطأُ عليها بقدمِه ويُجردُكَ من كافةِ حقوقِكَ الإنسانية:

تخيَّل وبعدَ أن تَنتهي من كتابةِ سبعٍ وعشرين روايةً باللغةِ العربية، وروايتينِ باللغةِ الألمانية، وتَطبعُ وتنشرُ ويكونُ لكَ مهمةً في الحياة، بكلِّ سخريةٍ سيقولُ لكَ الموظفُ العربي:

(في مكتبِ العملِ لا يوجدُ مهنة كاتبٍ
وروائي هنا!)

جارتي كاترين تقولُ لي: إنها تعملُ في بيتِ دعارة، واسمُها مسجلٌ في مكتبِ العملِ كمهنة، ولها كل حقوقِها الإنسانيةِ
والقانونيةِ والطبيةِ في البلد، وتعيشُ بحريةٍ تامةٍ ومُرتَّبُها أفضلُ من مُرتَّبِ طبيبٍ في مشفى فيينا، وأما الكاتبُ في هذهِ البلد لا يَحظى بأيِّ حقٍّ من حقوقِه حتى لو حصلَ على جائزةِ نوبل، بالمختصر:

على ما يبدو حانَ الوقتُ لتغييرِ المهنة، من روائيٍّ يُمارسُ مهنةَ الحلمِ إلى رجلٍ يُريدُ بيعَ جسدِه في ملهًى للعُراة،
وأنا ما زلتُ ثابتًا عند نظريَّتي التي تقول:

(لا تلوموا العاهرةَ على بيعِ شرفِها، ولكن عليكُم أن تضعوا اللومَ على المجتمعِ الذي أوصلَها لبيعِ جسدِها لكلِّ جائعٍ جنسيا)

زهير أبو سعد

مدقق الكتاب

لرتقِ الجروحِ بفكرةٍ معجونةٍ بالملحِ تَكوي الخيالَ بنارِ الواقع، أكتبَ وأنا بكاملِ الثِّقةِ نصيحةً لفَّقتُها على لسانِ الجدَّاتِ ألا وهي:

(الخيالُ لم يُعدْ في هذا الزمانِ صالحًا)

وما إقحامُ الجَّداتِ هنا إلا ليُصدِّقَ هواةُ الأقوالِ المأثورةِ والأساطيرِ الخُرافيةِ والحكاياتِ الخياليَّةِ القصدَ والغاية،

وحتَّى إن لمْ يُصدُّقوا، فالأمرُ لم يعد مُهمًّا ولن يَعنيني ولن يَمنعني من تحريرِ الحروفِ من أغلالِها وإضرامِ كومةِ الكذبِ والزَّيفِ التي جمَعناها في دواخلِنا بكلمةٍ لها نكهةُ الصدقِ والصّراحة، أنا الموقنةُ من الآن فصاعدًا أنَّ إقفالَ الورقِ على بياضِه واجبٌ إن لمْ

يُتخم فراغُه بأشياءَ حقيقيةً وإن كانتْ لاذعة، أنْ تَكذبَ المرايا أو تَصدقَ لا يَكفي طالما أنَّكَ وحيدٌ أمامَها،

أنت هنا لتنفضَ عن سنينكَ كميةَ الكذبِ والأوهامِ والمجاملاتِ والمآربِ والمصالحِ التي أثَّثتَها بكاملِ الغباءِ والحماقةِ ولتبحثَ عن أحدٍ يشتمكَ فتضحك وإنْ سألكَ لائمًا:

(لماذا فعلتَ هذا؟)

تصفعُه على وجهِه بإجابةٍ صاعقةٍ فتَجعلهُ من قشورهِ عاريًا ثمَّ تمضي لممارسةِ فن الخساراتِ مع آخرَ بذاتِ الطريقةِ

وتستمر الحكاية.

ف ج

إهداء..

لطيزي..

(1)

كاترين

عندما أكتبُ عن الكلِّ أن أضيفَ للونِ صفةِ التعميم، مجازًا أركّبُ من الكلمات عضوًا مُذكّرًا لآلهة اللغة، ومع أنّ اللغةَ مؤنّثةٌ ومؤثَّثةٌ بماهيّةِ السّرعةِ الضوئيةِ فلا مكانَ للحرف المذكرِ أمام أبّهةِ المعنى، كيف تريد أن تفصّلَ مخزونَ ما تتلقاهُ من معنى وأنت لا تعِيْ ما يسيلُ إلى دماغِكَ من معنى! فأنت جزءٌ لا يتجزّأُ من ماشيةٍ تمشي على الأرضِ تنتجُ وتستهلكُ وتدفعُ ضريبةً وجوديةً بسبب تركيبةٍ مختلفةٍ عن بقيةِ المواشي التي تدبُّ على هذه الأرض بلا رحمةٍ ولا ضميرٍ حسّيٍ أو معنويٍّ ألا وهو:

(العقل)

تسألُ نفسَكَ دائمًا السؤالَ الذي يُثبتُ أنّ دماغَك يعمل بالطريقة الصحيحة:

وماذا يوجد بعد؟

مجّردَ أن طرحتَ ذاك السؤالَ الذي يراه مدّعو الإيمانِ أنه ضرْبٌ من الرِّدَّة، سوف تعرفُ أنك تتّجهُ نحو الجنونِ العلميّ المنتشرِ مع الهواء في هذا الكون من غير أن تراه و لكنك تشعر به وتُطلقُ عليه جزافًا:

نسماتُ الله هبّت علينا.

كيف تعرف أنّها هبّت أو اشْتعلت أو انخمدت؟ لماذا تريد أن تعرف بالأساس؟ هل هذه تسليةٌ في ظنِّكَ في وقتِ فراغِك؟ هل تعتقد أنّك في وقتِ عملِكَ تتوقّفُ

الآلةُ الحاسبةُ التي تطرح التّساؤلات؟ أنت مشغولٌ بالصوتِ واللونِ والرائحة، أنت منسيٌّ بين كمّاشةِ السرعةِ ولقطاتٍ قد قطع الوقتُ منها صورًا تذكاريّةً في دماغِك، و إن كان لديك وقتٌ لستَ مشغولًا به سوف تستجمعُ كلَّ تلك الذكرياتِ في جلسةٍ واحدةٍ وتوزِّعُها على مسامعِ الحضور، في النّهاية أنت دائمًا مشغول...

توحي لمَن حولك بأنّك مشغولٌ بشيءٍ مهمٍّ جدًا، كخياطةِ ثقبٍ صغيرٍ في أحدِ ملابسِكَ الدّاخلية، مشغولٌ بوضعِ الخيطِ في الإبرة ومراقبةِ الشِّقِّ الذي سبّب عيبًا في ذاك السّروالِ اللّعين، وتُدقِّقُ في سدِّ تلك الثّغرةِ التي أخذت من وقتِكَ نصف ساعةٍ على أن ترمِّمَ ثقبًا دفينًا خلف بنطالِكَ أو فستانِك، أنت الآن مشغولٌ وأنت تحلِّلُ الكلماتِ التي ليس لها معنى أن تُكتبَ أو أن تُفهم، وتدَّعي أنّكَ مشغولٌ مدى الحياة...

الحياةٌ ضربٌ من لعناتِ الآلهة، الحياةُ فلمٌ محبوكٌ بالصّوتِ القادمِ من مذياعِ جارتي كاترين في الشِّقّة رقم 17 من العمارة رقم 11 في الحي السابع من العاصمة فيينا في صباح يوم الخميس وهي تتأنّقُ وتتجمّلُ وتغمرُ جسدَها بالماءِ والصّابونِ ذي الماركةِ الرَّديئة، إنها جزءٌ من الحياة، إنها مشغولةٌ بالحياةِ وموسيقى الرّابِ المزعجةِ والبارفان وثوبٍ مُلقى على سريرِها الخشبيِّ ذي الصوتِ الّذي يشبهُ زُعاقَ الغرابِ المتقطِّعِ الأوصالِ عندما يأتي إليها رجلٌ أجبرهُ المنتجُ على أن يفرغَ رغبتَه في سريرِها، وأكون أنا في شقّتي أستمعُ لصوتِ السّريرِ وهو يهتزُّ بعنفٍ شديد...

هزّةٌ أرضيّةٌ تكادُ الثُّريا المعلَّقةُ في سقف الصّالة أن تقعَ على رأسي، لا أحبُّ الصّالاتِ التّرفيهيّةِ والرياضيّة، أعشق المطبخَ دائمًا، أكره صوتَ زعاقُ سريرِ جارتي كاترين، أكون سعيدًا جدًا لأنها وجدت

فقمةً زاحفةً تلهثُ باحثةً عن ثديِ أنثى تخافُ من عنوسةِ الوقتِ والصوتِ والرائحة.

رائحة المطبخ، فوضى المجلى، بقايا خبز على الرف، صوت عقارب الساعة القذرة، تلك الساعة التي اشتريتها من العاصمة برلين في ليلة الكريسماس، جل لغة التعميم مزعجة ومشغولة في آن واحد، لماذا هكذا؟ الوقت يمشي وأضيع الوقت في صف الكلمات والتساؤلات التي لا يمكن أن تنتهي!

لأنني الآن بعيد عن شقتي، صوت زُعاق سرير كاترين، لون الخبز الشاحب في مطبخي، الثرية في سقف الصالة، الرجل الغريب في ممر الكريدور، صندوق البريد وقفل باب المنزل، لا مفاتيح لدي لأعود إلى الذاكرة، جل التفاصيل مشغولة ولها مكانها في الحياة ومكاني أنا أن أشعر بها وأكتبها قبل أن

أغادر فوهة الجحيم المشتعلة بالتساؤلات، حتى لو ألقيت إشارات الاستفهام خلف عقلك سوف يبقى عقلك مشغول بالغباء، كما أن سرير كاترين مشغول هذه اللحظة أو ربما ليلة أمس بذات الصوت المزعج،

في ضيافة فراغي الآن ومع أنني كنت منزعجا من صوت سرير كاترين وضيوفها الأجلاء، إلا أنني الآن مشغول بالذاكرة، كلماتها الغبية عندما تكون مشغولة بطلاء أظافر قدميها وتخرج ريشة الطلاء لتتجاوز لحم الأظفر وتبدأ بالصراخ بأعلى صوتها:

اللعنة أيتها الريشة العاهرة، تبًا لك يا مكنسة بيوت الدعارة، سوف ألقي بكِ في مؤخرة رجل عجوز، واااااااا، ماذا سوف أفعل الآن!

إنها دائمًا مشغولة، أحسدها لأنها وجدت ما يشغلها، أعتقد أن بين المتعة والمتعة كانت منهكة في حوض الماء الساخن وقراءة المجلات المتدنية الثمن التي تلقى على أرصفة محطات القطار الداخلي، مشغولة بتصفح الصور تاركة العناوين للقراء

والمثقفين، هذه الأنثى ثقافتها تختلف جذريًا عن ثقافة الكلمات، إن ثقافتها محصورة بين اللون

والمتعة فقط.

إنها مشغولةٌ لأنها أسعدت نفسها، عرفتْ ماذا تريد في مسرحيةِ الحياة، تعيش في وجهٍ واحدٍ ولا تهتمُّ للقالِ والقيل، ليس لديها أصدقاءٌ ولا عائلة، وجهٌ بشوشٌ وميك آب مَطْلي على حسب حرارةِ الجسد، لديها عقدةٌ حادّةٌ ثلاثيةُ الأبعاد، الخلطُ بين عقاقيرِ البرفان، مع أنني لست مهتمًّا بأنواعِ

وأسماءِ العطورِ لكنّي مهتمٌّ جداً بجسدِ أنثى لا تعنيني ولا تغريني، على سريري الآن الموحشِ من نسبةِ

سرعةِ سقوطِ نيزكٍ على حافّةِ كوكبِ المريخ، أحلِّلُ تلك العقليّةَ المُرْبِكةَ بالعقدِ وعرضِ محتواها وبضاعتِها على الرّجال.

ستائرُ الشوفانِ الحمراءِ تغدرُ بها الرُّيحُ خارجَ النّافذةِ إن كانت النّافذةُ خائنةً لصاحبةِ البيت، نباتاتٌ تكاد أن تموتَ على حافّة النافذة، لم تمتْ النباتاتُ بسبب قلةِ الاهتمام، إنها تذبلُ من صوت السّريرِ المزعجِ وموسيقى الرّاب الهابطة،

ومَنِ الذي يقررُ مستوى عُلوّ ودُنُوّ الموسيقى!

لا يهمُّ مَن الذي يقررُ بعد أن تصلَ إلى النّظريةِ التي عنونتُ بها كتابي:

(لطيزي)

شكرًا كاترين على تلك الفلسفةِ العميقةِ التي صدرتْ من صوتِ سريرِكِ وموسيقى الراب الرائعةِ التي لا أطيقُها وكميّةِ العطورِ التي أفهمُ ما معنى وجودِها في ذاكرتي،

ورقم شقّتِكِ الذي دخلَهُ رجالٌ بقاماتٍ وأوزانٍ عدّة، إلى ثدييكِ المُفعميْنِ بالسّلكونِ وشفتيكِ المتوهِّجتينِ بلونِك المفضّل. أرسلُ لكِ من إقامتي في المشفى رسالةَ جارٍ عرف أنّكِ أطهرُ أنثى عرفتُها عبر التاريخ، ومنحتِني أعظمَ نظريّةٍ في حياتي وقبل مماتي ألا وهي نظريةُ:

(لطيزي)

أحبُّكِ كاترين اعتَني بنفسِك جيدًا، امنحي جسدَكِ وجيبَكِ الكثيرَ من المُتعة، لا أحدَ يستحقُّ أن تعتني به

سواك، سواك أنتِ، لا معنى للحوار سوى مُمرضاتٍ حمقاواتٍ يتناوبنَ على تغييرِ أكياس السيرون الممتلئةِ بالفيتامينِ وتكبيرِ مساحةِ الأملِ الكاذبة.

(2)

أندريه

مروّجٌ للأفلامِ الإباحية، صانعُ القراراتِ الأكثرِ حرارةً في موسوعةِ المؤخراتِ المكشوفةِ للعيونِ الشّرِهة، متطفِّلٌ على المواقعِ يبحثُ عن جسدٍ مُضلّعٍ ومُفرزٍ على حسبِ عدسةِ الكاميرا التي تلتقطُ مشهدًا مثيرًا للشّفقة، إنّ تلك العدسةَ تقفُ في المكانِ الأكثرِ شهوانيّةً لتحريكِ طنجرةِ الرّغبةِ بعَصا قوّةِ الدّفعِ الرُّباعيِّ للفاعلِ والمفعولِ به...

وبين الفاعلِ والمفعولِ يتصدّرُ مشهدُ المبتدأِ قائمة الخبرِ نحو الشاشة الخُلّبية، عمارةٌ كبيرةٌ نحوَ ثمانيةِ طوابقٍ يُديرُها صديقي أندريه في إحدِى القُرى الّتي لا يُسمعُ بها صوتٌ سوى صوت المتعةِ الدّائمة على مدار 24 ساعة، وكلُّ طابقٍ له خصوصيّةُ التعرّي المحرّرِ من الصّدى، أجسادٌ وأسرّةٌ وزنازينُ وإضاءةٌ خافتةٌ

وإضاءةٌ قوية، عالمٌ آخرُ من التعرّي والجرأةِ وعلى عينِك يا تاجر،

التاجرُ الكبيرُ أندريه لا يأكلُ حقَّ أحدٍ من الممثلين والموظفينَ في شركتِه، تخيّلْ أنّ لكلِّ شخصٍ تأمينٌ صحّيٌّ كامل،

وغِذاءٌ عالي الجودة،

وصالات رياضية مع البروتين مع مدرّبينَ بالمجان، وسكنٌ خاصٌّ لكل عامل في هذا المجال،

ومرتَّبٌ متكاملٌ وعقدٌ لكلِّ شخصٍ بطريقةٍ قانونيةٍ تحفظُ حقوقَه الكاملة، إنّه تاجرُ شرفٍ ولكن بكل شرف، لا يمكن أن أتوقفَ عن السؤالِ حتى ولو كان وقِحًا!

هل وصل صديقي أندريه إلى نظريّتي التي تقول:

(لطيزي!)

أعتقدُ أن أندريه وجميع الموظفينَ من مصوّرينَ وعمّال نظافةٍ وفنيينَ في تلك الشركة العملاقة تخطّوا تلك القاعدة، رأيتُه آخر مرّة في مطعم تركي في العاصمة فيينا جالسًا مع شابّين، أعتقد أنه مشغولٌ بصفقةٍ رابحة بالحلالِ في مطعمٍ لا يقدِّمُ سوى الطعام الحلال، لم أرِدْ مقاطعتَه أبدًا، لم ألتفتْ إليه حتى لا

أكون فضوليًا، أحبُّ هذا المطعمَ لأنه يقدِّمُ الإفطارَ بطريقة:

(بوفيه مفتوح)

أحب المطاعمَ التي تعجُّ بالحرية، تأكل ما تريد وتدفع 7 يورو، كان الوقت باكرًا بين الساعة التاسعة صباحا والساعة الواحدة بعد الظهر، الطاولة مفروشةٌ بما لذّ وطاب، نظافة رائعة ورائحة الأطعمة تدعو لاقتحامِ البوفية بلا تذكرةِ عودة، كلي شوقٌ لذاك المكان، أخذني إليه صديقٌ قديم أكنُّ له كل الاحترام، نمساويُّ الأصل ولكنّه مسلم ولديه ثلاثةٌ من الأبناء، أتذكر العاملين كيف وهم مهتمّونُ بكل الطاولات وكأنّ نظريةَ:

(لطيزي)

غيرُ موجودةٍ في قاموس هذا المطعم التركي، ولكنّ القاسمَ المشتركَ بين شركة الدّعارةِ التي من العيب أن تقولَ عنها شركةُ دعارة بل يجب أن تصفَها بكلِّ أدبٍ واحترام بمؤسسة الأفلام الإباحيةِ هو ذات النظام بالضبط، نظافةُ المكانِ

والعمالِ والطعام

والأجساد، نظامٌ متكامل ككلية النحلِ التي تنتج جزءًا للّذةِ وجزءًا للمعدة، أعتقد أن اللذةَ ليست فقط الجموحَ الجنسي، الشهوةُ للطّعامِ والشّرابِ وسماعِ الأشياء الممنوعة والشرَهِ الجنسي كلُّ هذه الأشياء في نظري متعةٌ حتى الكحولُ والمخدرات

والتجمعات غير المعروفة تحت الأرض أو في الظلام أيضًا متعةٌ لا يعرفها سوى من وصل إلى النظرية المنطقية:

(لطيزي)

سمعتُ صوتًا من خلفي ألتفتُّ بأطراف حواسي،
صوتٌ قادمٌ من أقراص CDE، رائحة عرقٍ تسيل من ظهر أنثى تتألمُ
وتتمتعُ وتأخذُ أجرَ ألمِها
ومتعتِها من جيب رجلٍ يدعى أندريه، صوت خفي من قبو المبنى في تلك القرية لشابٍ يغتصبُ شابًا آخر تحت تأثير المخدرات، ولكن بالقرش الحلال وبرضى الطرفين
ومن تعبٍ وكدٍّ وهدٍّ
ومتعةٍ تجلب ملايين العيونِ المقنعةِ بالدينِ
والعادات والتقاليد بعد منتصف الليل من كل مسرحيةٍ هزليةٍ للنظام الذكوري في المجتمعات التي تدّعي أنها تخاف من الآلهة، كأنني عرفته إنه أندريه:

أستاذ زهير كيف حالك؟

ترك الشابينِ على طاولة الإفطار وأتى مسرعًا كأنه وجد طُعمًا شهيًّا في مؤسسته المفخخة بالجنس المشرَّعِ قانونيًا برضى الدولة والقانون

والمجتمع المنفتحِ حرفيًا بأداةِ النصبِ المذكرةِ و الضمِّ المؤنثة، جميل أندريه جدا لديه هدفٌ في الحياة بنشر الإباحيةِ بطريقةٍ حضارية، لديه عينان خضراوان، يرتدي تيشيرتا أسود، تشعر أنه شخصٌ عاديٌّ وهادئٌ جدًا، أو تشعر أنه طبيبُ أعصاب بسبب وجهه الجميل، مد يده النظيفة

والمعقمة:

أنا بخير شكرًا لك أندريه، كيف تسير الأمور، هل أنت بخير؟

أمسكَ يدي جيدًا صافحَني بقوة شديدة، كأنه البست فريند ولكنه في الحقيقة صديقٌ لا يعرف الكذب أو الخيانة، يكفي أنه في قمة التواضع:

شكرًا لك أستاذ، أنا سعيد لرؤيتك، كيف تسير الكتابة معك؟

ضحكتُ من أعماق قلبي، كأنني لأوّلِ مرة أضحكُ في حياتي، شاركني الضحكَ من غير أن يعرف على ما أضحك، كان الجواب بسيطًا جدًا:

الكتابة تسير بطريقة جيدة كما تسير مؤسستك الإباحية!

ضحك أندريه، شخص لطيف ليس لديه أسلوب الخداع والتنكر، ولديه قاعدتين في طريقه الإباحي، قوةُ العرض

وجلبُ جمهورٍ أكبر

والتكامليةُ في دقة

وأسلوب العمل، وفي النهاية الهدف من ذلك هو جنْيُ المال من أجل شهوة عابرة أمام عدسة ساحرة، لجمهور متنكرٍ بأبّهة التديّنِ والرقيّ الأخلاقيّ المقنع، إنه الأكثرُ إثارةً بالعمل الجاد وتطبيق نظرية:

(لطيزي)

الفارقُ الكبيرُ بين سينِ التسويف

وسوف: هو نوعُ اللباس شفافٌ أم ساتر؟ القضيةُ أكبرُ من شفافيةِ الستارِ وأصغرُ من ساترٍ شفاف، القضيةُ في هذا العالمِ قضيةُ لغة، لغةٌ تريدُ أن تقمعَ لغةً أخرى

ولكن بعباراتٍ أكثرَ دموية، عندما أقرأُ للكتّابِ في المجتمعاتِ المحافظةِ دينيًا أو قوميًا فإنهم يكررون المنظومةِ نفسَها

ولكن يُغيّرون نمطَ العبارةِ بحروفٍ أشدّ جمالًا من أجل أن يقولَ عنهم المجتمعُ الأكثرُ كذبًا، القنبلة الأكثرُ جدلًا:

واااااو شو حلوة كلماتك!

لاحظْ ماذا قالوا له:

(كلماتك)

المجتمعُ يعلمُ بأنَّ رجالَ الدينِ

والسياسيين والكتّاب والحرفيين يدورونَ حول حلقةٍ مفرغةٍ ألا وهي الجنس بين المنعِ الحراريّ والتحفظِّ الجذريّ،

والإفراطِ في الخلاء، إنهم يعيدونَ الفكرةَ بعدّة طرق، كماءِ المجاري عندما يعيدون تكرارهُ فيتحولُ لماءٍ صالحٍ للشّرب، أي أنَّ المجتمعَ يشربُ بولَه ولكن بطريقةٍ مكررة، التجربةُ كفيلةٌ بأن أكتبَ الحقيقةَ ليس من أجل الجوهرِ الحقيقيّ للحقيقةِ ولكن لإثباتِ النظريةِ التي تقول:

(لطيزي)

(3)

جابنسون

الفارقُ الكبيرُ بين سينِ التسويف

وسوف: هو نوعُ اللباس شفافٌ أم ساتر؟ القضيةُ أكبرُ من شفافيةِ الستارِ وأصغرُ من ساترٍ شفاف، القضيةُ في هذا العالمِ قضيةُ لغة، لغةٌ تريدُ أن تقمعَ لغةً أخرى

ولكن بعباراتٍ أكثرَ دموية، عندما أقرأُ للكتّابِ في المجتمعاتِ المحافظةِ دينيًا أو قوميًا فإنهم يكررون المنظومةِ نفسَها

ولكن يُغيّرون نمطَ العبارةِ بحروفٍ أشدّ جمالًا من أجل أن يقولَ عنهم المجتمعُ الأكثرُ كذبًا، القنبلة الأكثرُ جدلًا:

واااااو شو حلوة كلماتك!

لاحظْ ماذا قالوا له:

(كلماتك)

المجتمعُ يعلمُ بأنَّ رجالَ الدينِ

والسياسيين والكتّاب والحرفيين يدورونَ حول حلقةٍ مفرغةٍ ألا وهي الجنس بين المنعِ الحراريّ والتحفظِّ الجذريّ،

والإفراطِ في الخلاء، إنهم يعيدونَ الفكرةَ بعدّة طرق، كماءِ المجاري عندما يعيدون تكرارهُ فيتحولُ لماءٍ صالحٍ للشّرب، أي أنَّ المجتمعَ يشربُ بولَه ولكن بطريقةٍ مكررة، التجربةُ كفيلةٌ بأن أكتبَ الحقيقةَ ليس من أجل الجوهرِ الحقيقيّ للحقيقةِ ولكن لإثباتِ النظريةِ التي تقول:

(لطيزي)

جابنسون تاجرُ مخدرات، قرأ روايتي الألمانية "جحيم الياسمين" المترجمةَ من اللغةِ العربيةِ وأرسلَ لي طلبَ إضافة عبر الفيسبوك، وقبلتُ الطلب، لكن لا أعرفُ ما هو عملُه بالضبط، فأنا كنتُ ممن يدعي الشرفَ في مسابقةِ كُتاب الشرف، وصلتُ إلى نتيجةِ أن الشرفَ الكبيرَ أن تخرجَ من تلكَ الدائرةِ وتبقى جالسًا ترصفُّ أحجار الشطرنجِ وتعيدُ تكرارَ اللعبةِ نفسها وفي نفسِ الوقتِ تدعي بأنك آلهة، إنه مرضُ العظَمة في مجتمعِ

الكمالِ المُفرطِ بالغباء، رسالةٌ صغيرةٌ من السيد جابنسون:

كتابكَ جميلٌ وشبيهٌ بمسرحيةِ شكسبير،
وأعتقدُ أنكَ لم تُجرّب شيئًا في حياتكَ من الممنوعاتِ لتصفَ مشاهدَ الحقيقةِ بحرفيّة، إن الأشخاصَ الذين يُدافعونَ عن الكمالياتِ وجوهرَ ضخِّ نسبةِ الأمل
وإثباتِ الوجودِ بين البشرِ المتنافسين على أن يصلَ أحدٌ منهم إلى المنصةِ الرئيسيةِ للنجاح، عبارةٌ عن حمقى لم يُجرّبوا شعورَ العاهرة...

قرأتُ الكلام مرارًا و تكرارًا، لم أستوعبْ لأنني داخلَ دائرةِ المنافسة، عرفتُ بعدَ عدةِ سنواتٍ من التجاربِ بأنَّ الكتابة ليست مكانًا للمنافسة، على العكسِ تمامًا إنها عبارةٌ عن مشنقةٍ تُعلّقُ بها قلمَكَ

وفكرَكَ وعنقَكَ إن خالفتَ القطيع -أي قطيعُ الكُتاب- سألتُ السيّدَ جابنسون:

ماذا تعمل؟

بكلِّ بساطةٍ ومن غيرِ أيِّ تخفٍّ وببرودةِ دمٍ كتبها:

تاجرُ مخدرات، هل تحتاجُ مساعدة؟

كيفَ لديهِ القوةُ بأن يفصحَ عن حقيقته! كيفَ لي أن أبقى كاذبًا أمامَ مجتمعٍ ترعرعَ على الكذبِ وأتقنَ تلقّي الخيال جيلًا عن جيلٍ وترسيخ تلكَ الخرافاتِ في الدماغِ على أنها إيمانٌ وعلى المرءِ السمع والطاعة لها من غيرِ أن يسألَ وإن سأَلَ يجبُ أن يسألَ أهلَ العلم، كأنَّ الحكمةَ دمُ حيضٍ ويجبُ إخفاؤُه عن أهلِ البيتِ حتى لا تشعرَ المرأةُ بالحرج، لفيفٌ من الدجالينَ

والكذابينَ والمنافقين يُكررون الكذبةَ ويضعونَها على كماشةٍ حتى لا تُفلتَ من عشها، وإن أفلتتْ فسوف يُحكَم على مفلتِها بحكم الرِّدة!

تخيل أن يُقطع رأسكَ فقط لأنكَ لا تريدُ أن تكونِ كما يريدُ غيرك، التجردُ من الخوفِ هو خوفٌ آخر ولكن بنكهة:

(لطيزي)

بالشكولاتةِ المحشوةِ بالفراولة، قالها لي جابنسون: إنه يحب الشوكولا، جربتُ المخدراتِ مدةَ عامٍ كامل، جربتُ أن أبقى ذلكَ الكاتب الذي يدّعي الفضيلةَ وهو واقعٌ في الرذيلة، لذيذة المخدرات تجعلكَ تكتبُ أكثر وتفكّرُ بعمقٍ وتستخدمُ الجرأة، الخروج من المخدراتِ ليسَ بالأمرِ السهل، ولكن خرجتُ بعد أن أمسكوا

بالسيدِ جابنسون ووضعوهُ في السجن، لقد أرسلَ لي رسالةً من داخلِ السجن:

"الآن أعيشُ الحريةَ التي أريدُها"

حاولتُ أن أفهم، هل النمطيةُ التي نعيشُها وندّعي أنها حياةٌ هي تلك التي تحكمُ حركتَنا العقلية!

وصلني خبرٌ أن السيد توفيَ في السجن بعد أزمةٍ قلبية، شعرتُ أنني إن عشتُ في هذه الحياة أو لم أعِشها فإنها لم تعد تغريني أبدًا، لأنها في دماغي عبارةً لن تتكررَ ألا وهي:

(لطيزي)

ولكن هناك رسالةٌ قرأتَها أم لم تقرأها لا تهمني ولكن يجب أن تعرفها إن كنتَ مدمنَ مخدرات:

المدمنون الشرفاءُ يحزنون على من كان يمدُّهم بالمخدرات، قليلو الشرفِ يحزنون أكثرَ لأنهم لا يعرفونَ من أين سيحصلونَ على تاجرٍ جيدٍ كالتاجرِ الذي فقدوه.

(4)
نيكولا

منتهى المنتهى أن نصلَ إلى حافةِ المنتهى، لم يسألْ أحدٌ منّا ماذا يوجد بعد المنتهى! قطعاًن مفترسةٌ من الأمنياتِ تنقضُّ على توجهاتنا، ولكأنَّ كلَّ الاتجاهاتِ

تزحفُ إلى روما، روما التي أغلقتْ كلَّ منافذها في زمنِ الكورونا، لم تُغلقها عمدًا في وجهِ رُوّادها، بل هربتْ منها محطاتُ الأملِ وباتَ القطارُ يسيرُ دهسًا ودعسًا وتهميشًا حتى أضحتْ أسماءُ سكانِها أرقامًا تتسابقُ على نشرِ أرواحِها المحطاتُ الإخباريةُ وعلى عينك يا تاجر.

تاجرُ المخدراتِ نيكولا في العقدِ الخامسِ من زمنِ البحثِ عن الفضيلة، جماجمُ بشريةٌ مقفلةٌ بالأفكارِ المبسترةِ القادمةِ من مروّجي الخيال، ينقرونَ الأملَ والثقةَ والمحبةَ والأمانَ والإيمانَ في خلايا الرأسِ كنقّارِ الخشب، إنه طائرُ المنحوتاتِ الخشبيةِ الزائفِ الذي يصنعُ منها الصليبَ والمحرابَ والمنبرَ وورقَ الصحفِ الدينيةِ والوطنيةِ والقوميةِ، إنهم يستخدمونَ المصدرَ ذاته لاحتواءِ أزْمةِ الجهلِ وعدمِ الوقوعِ في الرَّذيلة، ويتنفسونَ الهواءَ نفسهُ ويسيرونَ على ذاتِ

البسيطةِ ولكن بأسماءٍ أكثر تداولًا بين مُروِّجي الأحلامِ الخُلَّبية والأوهام القذرة.

يصادفُ اليومَ عيدُ ميلادِ صديقي نيكولا تاجرُ المخدراتِ الذي لا يعرفُ اسمهُ الحقيقي أحدٌ من البشرِ سواي، أنا آسفٌ يا صديقي لأنني ذكرتُ اسمكَ في كتابي هذا، فبعدَ كشفِ كلِّ اسمٍ من الأسماءِ أعاني ساعةً كاملةً من الصمتِ وأشعرُ أنْ لا مكانَ للوقتِ هنا، لأنَّ الحروفَ مسيرُ خيارِها بأمرٍ من الحقيقةِ لا من الخيال،

في يومِ مولدكَ دعني أُغنِّي لكَ أوَّلَ أغنيةٍ دينيةٍ حفظتُها من فلمِ (الرسالة) الذي يتحدثُ عن سيرةِ أحدِ الأنبياء، لا أجيدُ الغناءَ ولا الرقصَ والإحساسِ بما يمدحُ أو يذمُّ، ولكن سوفَ أحاول:

طلعَ البدرُ علينا من ثنيّاتِ الوداعِ

وجبَ الشكرُ علينا مرحبًا يا خيرَ داعٍ

أتمنى أن تنالَ إعجابك، وعلى سريرِ المرضِ في إحدى المشافي، لا أملكُ دولارًا واحدًا كي أشتري لكَ علبةَ كبريتٍ من أجلِ سيجارتكَ التي لا يمكنُ أن تتركَها من فمك، مسألةُ التَّركِ مسألةٌ غبيةٌ جدًّا، تشعرُ أنكَ في محكمةِ النَّقضِ الدوليةِ، فأوصيكَ بأن تتقنَ فنَّ الخسارات، إنه فنٌّ لإحدى هواياتي في عام 2020 للميلاد، أطلقتُ على هذا الفنِّ العنوانَ ذاته لكتابيَ الذي ذكرتُ اسمكَ فيه، أسميته:

(لطيزي)

أعلمُ أنكَ لستَ مهتمًّا بالعنوانِ ولا برقمِ الصفحةِ ولا بالكتابِ نفسه، أنتَ تهتمُّ براحةِ البشريةِ وترسلُ للعالمِ سحركَ الأبيضَ كي ينجو المُحبطونَ من لعنةِ الواقعِ وطعنةِ الخيال، تهانينا لكلِّ من عرفكَ وأحبكَ وتعاملَ معك، حتى ولو لم يَشتري أو يُجرب بضاعتَك، دعني أشرحُ لمن أساءَ الظنَّ بكَ بأنَّ نيكولا شخصٌ طيبٌ ومحبٌّ للخير، تاجرٌ بارعٌ للسحرِ الأبيضِ ولكنهُ لا يتعاطى المخدراتِ ولا الكحولَ ولكنَّ السيجارةَ شيءٌ مقدَّسٌ كالكتبِ التي تنسجُ للمجانينَ ومُدمني الإيمان الذين يُسوِّقون للجواب المتداول:

ماذا سوف يحصل بعد الموت؟

سوفَ أستدينُ مبلغًا من صديقي كريستيان، لا أعرفُ إن كانَ يملكُ خمسَةَ دولارات، هو لا يحبُّ حملَ المال في حقيبته ولكنه يملكُ بطاقةً بنكيةً ذكية، أعتقدُ أنَّ الخمسةَ دولاراتٍ لا تكفي، أريدُ عشرةَ دولاراتٍ

لأشتري لكَ كتابي المترجم إلى اللغةِ الألمانيةِ كهديةٍ بمناسبةِ يومِ مولدكَ العظيم، أعرفُ أنكَ لا تحبُّ القراءةَ ولا الكتابة، ولكن تحبُّ الرياضياتِ وجنيِ الأموالِ وإن وصلكَ كتابي يمكنكَ أن تمسحَ بهِ النافذةَ الزجاجيةَ لبيتِ الخلاء، سوفَ يُسعدني ذلك، لأنكَ ستفهمُ معنى النظريةِ الأكثرَ عمقًا ألا وهي:

(لطيزي)

إنهم يقرَؤُونكَ الآن ويشتمونني

ويشتمون أصدقائي، وبينهم أنت، هم لا يعرفونَ أن مالكَ ونيَّتكَ الطيبةَ وحذاءَك أنظفُ بكثيرٍ من قلوبهم، يكفي أنني أعرفُ تمامًا أنَّكَ تُقدِّمُ وجباتِ الإفطارِ والغداءِ والعشاءِ لأكثرَ من ألفي مُشرّدٍ في النمسا، وتهتمُّ بالكلابِ الشَّاردةِ لكي تَأويها عندك، أنا أعلمُ

أنني فضحتُ سرَّكَ في كتابي ولكن في النهايةِ يجبُ أن تعرفَ أنَّ كل ما ذكرتُه عنكَ هو عبارةٌ عن:

(لطيزي)

أحبُّكَ صديقي نيكولا وأتمنى لك عيدًا سعيدًا، وأن تكون تجارتُك مباركةً ومثمرةً في نشرِ الخيرِ والبركةِ والمحبةِ

وسلامٌ حار لكلبتكَ المدللة (نوستاليتا)، سوفَ أحاولُ جاهدًا أن أرسلَ لكَ كتابي المترجم إلى اللغةِ الألمانية، أتمنى ألاّ ترمي به في سلةِ المهملات، حاولْ أنْ تمسحَ بهِ زجاجَ نافذةِ بيتِ الخلاء، كما قلتُ لك آنفًا:

(لطيزي)

(5)

كيتـي

شرطةٌ في المنتصفِ السفليّ للجمجمةِ بمساحاتٍ وأحجامٍ عدة، 80 % من خرابِ هذا الكون سببهُ ذاكَ الشّقُ الذي ينتجُ ويستهلكُ في آنٍ واحدٍ أطنانَ مطننةً من الطهارةِ والنجاسة، يقال: إنه من صنعِ اللهِ الذي أتقنَ صنعه، لهُ مهاراتٌ وأساليبُ وألحان، وأخذٌ وصدٌّ وفنون لا تُعدُّ ولا تُحصى، إنه وسيلةٌ لِلّذةِ والقرف، للرُّجوعِ والهروبِ، للَّومِ والدعمِ، إنه أفضلُ وسيلةٍ بعد وسيلةِ العينِ والنظر، ألا وهو: الفم.

شفتاها أحدُ ألغازِ الآلهة، وصفٌ لصبِّ سبائك الذهبِ في قالبِ النور، يتراكضُ إليها فحولُ الرجالِ في عالمِ اللَّيالي الجنسيةِ المشتعلةِ بثاني أكسيدِ التيتانيوم، (وتيتي تيتي، متل ما رحتي متل ما إجيتي) وعلى سيرة إجيتي تحيةٌ طيبةٌ للآنسةِ "كيتي" وتنورتِها المثقبةِ عمدًا التي يُرى من خلالها كيلوتَها الأصفر، لا أعلمُ ربما الأزرق، المهمُّ كيلوتًا، أصلًا لا يهمُّ لأنه:

(لطيزي)

كيتي صديقةٌ قديمة، أعلمُ أنَّها لن تنزعجَ مني لأنني أكتبُها وتقرَؤُونها هذه اللحظة، لأنني أفكرُ بصوتٍ عالٍ، أعلى من حافَةِ ثدييها، بالحقيقةِ هي أنثى جميلةٌ جدًا،
وطبيعيةٌ لدرجةِ أنها متصالحةٌ مع ما تفعله، أحسدُ جمودَها وشموخَها، أحاولُ تفسيرَ صمتِها وسيجارتِها الإلكترونية، تُفصحُ عن سببِ اتصالها بي بكلِّ صراحة، وتوضحُ ما تُفكّر به بصوتٍ عالٍ:

"أحبُّ أن ألتقي بكَ في وقت الملل"

طبيعةُ البشرِ أنهم يُفسّرونَ الاكتئابَ

ويختفونَ خلفَ تلكَ الكلمةِ بمادّةِ (الملل)، المجتمعُ مجرمٌ ولكن بأنظمةٍ قانونيةٍ على حسْبِ القيمِ الموجودة، "كيتي" من عائلةٍ كاثوليكيةٍ محترمةٍ ورفيعةِ المستوى، أرسلَها جدُّها بعدَ موتِ أبيها بمرضِ التهابِ الكبدِ إلى دارِ الرَّاهباتِ لتكرّسَ العائلةُ حياةَ الطفلةِ في خدمةِ الصليب، المجتمعاتُ المتدينةُ تَدَّعي أنَّها من أهلِ الفضيلةِ وتصفُ الآخرينَ بأنهم نجسُ البشرية، وفي أغلبِ الخطاباتِ المِنبريّةِ في دورِ العبادةِ عامةً وجدتُ لتحريضِ البشرِ بعضُهم ضدّ بعضٍ بأمرٍ إلهيٍّ صادرٍ عبرَ رجلٍ يقالُ عنهُ نبيٌّ أو رسولٌ أو قديسٌ أو عالمٌ أو رجلٌ صالح، المهم أنه ذكر وليس أنثى.

رجلٌ يدَّعي الصلاحَ في تلكَ المدرسةِ الكاثوليكية، نصَّبوهُ إدارةَ الدَّيرِ لمركزِ الراهبات، الطفلةُ رُبِّيتْ على الصدق، وأنا معَ القاعدةِ التي تقول:

"الدينُ ليسَ لهُ علاقةٌ في التربية، الدينُ ممكنٌ أن يكونَ متمّمًا لخللٍ ما في تربيةٍ ما"

في الخامسةِ عشرَ من عيدِ ميلاد كيتي في المدرسة، تحرَّشَ المديرُ بها في أحدِ الممراتِ الضيّقةِ لغرفِ تبديلِ الملابس، وجهُ كتيتي ليس مكانًا للمعابدِ الباردةِ التي لا يدخلُها الضوءُ إلا عبرَ النوافذِ الملونة، وجهها مكانٌ للمجلات، وممرٌ لعرضِ الأزياء، وملكةِ جمالِ الشاشةِ الأوروبية،

"كيتي" التي غيرتْ اسمها من فغونيكا إلى "كيتي" هي إحدى ضحايا العدوانِ الجنسي، ركضتْ وهربتْ وأفلتتْ من بين مخالبِ ثعلب المدرسةِ الكاثوليكية ، صاحتْ بأعلى صوتها:

(النجدة)

الحادثةُ حصلتْ قبلَ خمسة عشرِ عامًا، عندما تتصلُ بي وتخبرني أنها تشعرُ بالملِ أسمعُ صوتَ النجدةِ التي أطلقتْها في عيدِ ميلادِها في تلكَ المدرسةِ اللعينة، لم يُصدّقها أحد، أنا من صدَّقتُها عندما قابلتُها في إحدى مقاهي فيينا قبلَ أربعِ سنوات، شعرتُ أنني أقفُ بجانبها، أنا أعرفُ البريءَ من المذنب، أعرفُ أنَّها أصدقُ أنثى قابلتُها في حياتي.

تعملُ في بارٍ كحوليٍّ جنسيٍّ في الحيِّ الثامن، بكلِّ بساطةٍ أغلبُ الزبائنِ يأتونَ من أجل رؤيةِ وجهِها، إنَّ تفاصيلَ عينيها ذاكَ السطرُ الذي يُكتبُ عليه عبارةُ الجنة، وأنا الرجلُ المنقذُ للملل، مشتاقٌ لصوتِها الذي صادفَ وسمعتُه في صباح هذا اليوم:

"لقد سمعتُ أنكَ مريض!

تماسك وكن قويًّا من أجلنا"

صوتُها كان عابرًا لمسالكِ الخطوطِ الفضائيةِ لكوكب:

(لطيزي)

عندما سمعَتْ كيتي أوَّلَ أغنيةٍ عربيةٍ كنتُ قد وضعتُها صباحًا عبرَ هاتفي، كانَ الشتاءُ قارصًا التقينا في المقهى، فيروزُ تُغنّي:

(مش فارقة معاي)

سألتْني كيتي، "ما معنى هذه الأغنية؟ لقد أحببتُها من كل قلبي"، صوتها وأعتقدُ أنَّ كلماتِها جميلة، "اِشرح

لي ما معنى هذه الكلمات؟" قلتُ لها: بكلِّ بساطةٍ إنَّها تقولُ لحبيبها:

(لطيزي)

سوفَ تزورُني غدًا، قالتُ لي: إنها مشتاقةٌ لنسمعَ ذاتِ الأغنية معًا (مش فارقة معاي)، أحبُّكِ كثيرًا يا صديقتي، أنا أنتظركِ غدًا.

(6)
قريش

القاسمُ المشتركُ بينَ قريشَ قبلَ الإسلامِ ومسلمينَ عامَ 2020 هو الرأسُ ذاتُه ونفسُ "التناحة"، لا أحدَ يريدُ من عائلتي أن أتركَ ديني أو اعتقاداتِهم، السَّببُ أننا هكذا!

ليش هكذا؟

ممنوعٌ أن تسأل! فقط لأننا هكذا، ليس لديهم أي جوابٍ لتحوُّلكَ إلى دينٍ آخر، أنتَ بينَ خيارين النفيُّ أو أن تبقى على النَّهجِ الوراثي للدِّينِ الذي لا تعرفُ عنهُ شيئًا، وعندما تعرُف تفاصيلَ هذا الدِّينِ ممنوعٌ أن

تُناقشَ لأنكَ واقعٌ في دائرةِ المُسلَّمات، والمُسلَّماتُ خطٌّ أحمر، والأحمرُ لونٌ من ألوانِ جهنّم، وجهنّمُ في الطّاسة، والطّاسةُ في الطّاحونة، والطاحونةُ ضايعة، وهكذا...

أخي الصغيرُ وجدَ الوقتَ من أجلِ أن يُملي عليَّ دينهُ بالصُّرمايةِ العتيقة، طبعًا أنا بدمٍ بارد قلتُ له:

لماذا طالبتَ بالحرية؟

الحريّةُ في دائرةِ المُجتمعِ المُنغلقِ على الدِّينِ والتُّراثِ المُشبَعِ بالعاداتِ والتقاليد هو سجنٌ كبيرٌ لا يختلفُ أبدًا عن النظامِ الحاكمِ الذي يحكمُ ذاكَ المجتمع، وهناكَ قاعدةٌ وجميعُكم يعرفُها أرى أنَّها واقعية:

(كما تكونوا يُولَّى عليكم)

يَعني هذا المصيرُ سببه أنتم، المصيبةُ بأنَّ كلَّ طائفةٍ من الطَّوائفِ تعتقدُ أنَّ مقاليدَ الحريَّةِ بيدها، وعندما تخرجُ لتطالبَ بالحريَّةِ بدولةٍ مدنيةٍ تعدديةٍ لا يُظلمُ فيها أحد، فجأة ومن غيرِ أيِّ مبررٍ تُفاجأ بالهيئاتِ الشرعيةِ التي تنشرُ الرعبَ بينَ المجتمعِ المتعددِ الطوائفِ والثقافات، إنها مصيبةُ الانغلاق، دائمًا أسألُ لماذا خرجوا يَصيحون بالحرية!

تخيلْ نحنُ من عائلةٍ خرجتْ تطالبُ بالحرية، وعندما أعلنتُ لإخوتي أنني أدينُ باليهوديةِ وأمارسُ الطقوسَ اليهوديةِ عن قناعةٍ وأنا لا أؤذي أحد، تشاجروا معي وعلا بيننا الخلاف، سألتُهم لماذا هذا الهجوم؟

كان الجوابُ صادمًا جدًّا:

فقط لأننا هكذا، وذاكَ الدينُ هو عدوٌّ لنا،

ونحنُ لا نقبلُ أعداءَ لنا! ودينُك الجديدِ لا يناسبُ ما تربّينا عليه.

عندما سمعتُ هذا الكلام، تذكرتُ ما قرأتُه في السيرة النبويةِ لابن هشام عندما جاء النبيُّ محمد يدعو إلى الإسلامِ وكيفَ هاجموهُ قريشُ وقالوا له:

ما سمِعنا بهذا من آبائِنا الأوَّلين!

والمصيبةُ أنَّ قريشَ قاتلوا النبيَّ محمدٍّ أربعينَ عامًا، دماءٌ وتشريدٌ وتقتيلٌ

وتهجيرٌ وتهجمٌ وتهكُّمٌ وجماجمُ بترتْ بسببِ شخصٍ يريدُ أن يكونَ لديه حريةٌ في الاعتقاد، المصيبةُ أنَّ جُهّالَ المسلمينَ لديهِم أدوات تصنيفيةٍ تفرزُ من يُخالفهم ويخرجُ عن دينهم، لن تُفرّقَ بينهم وبينَ قريشَ

قبلَ الإسلام، والكارثةُ أن لديهم ثلاثٌ وسبعونَ فرقة، لا أحدَ يَكنُّ الخيرَ للآخرِ بسببِ خلافاتٍ تافهةٍ راح ضحيتُها ملايين من البشر، وإلى يومنا هذا يَتوارثُ المجتمعُ العنصريةَ
والكراهيةَ والأحقادَ وفي نفسِ الوقتِ يُطالبون بالحرية!

ما هذا يا هذا!

تناقضٌ إلى أبعدِ الحدود، مع أنَّ الدينَ الإسلامي يقول:

(فمن شاءَ فليُؤمن ومن شاءَ فليَكفر!)

وأيضًا يقول:

(لكم دينكم ولي دين)

وفي الحقيقة، الأمرُ لا يهمني ولا يعنيني إذا قبلوني أو رفضوني
وخصوصًا عائلتي، هم يعرفونَ أنني درستُ العلومَ الإسلاميةَ أربع سنواتٍ وأعلمُ أنَّ هذه السنوات لم تضِع من عمري، على العكسِ تمامًا، كانت تجربةً جميلة، لأن لدي قاعدةٌ أنسنة التجربة السلبية إلى فائدةٍ مستقبليةٍ وعدمُ الوقوعِ بها مجددًّا، فلماذا التفكيرُ في الماضي!

التفكيرُ في الماضي عبارةٌ عن إضاعةٍ للوقتِ الحاليّ والتشويشِ على المسيرِ نحو المستقبل.

بالمختصر: قريشُ قد أصبحوا أسطورةً تُذكر في التراثِ الديني، ولكن في الحقيقةِ الجينات لها دورٌ

كبيرٌ وترسلُ ذبذباتِها بين الحينِ والآخرِ إلى أهليها، فعندما تتعمقُ جيّدًا بالقاعدة التي تقول:

(لطيزي)

أعدكَ بأنكَ لن تفكرَ بشيءٍ أبدًا سوى أنكَ تريدُ العيشَ والتعايشَ مع الآخرينِ بسلامٍ ومن غيرِ أن يجرحَكَ أو يصنِّفكَ أحدُهم فقط لأنكَ تريدُ أن تعيشَ كما يحلو لكَ أنت، لا كما يحلو لغيرك، تَمسَّكْ جيّدًا بفنِّ الخسارات، صدِّقني في نهايةِ المطاف سوفَ تربحُ نفسكَ وسوفَ تَعي معنى الحريةِ وهذا الكتابُ الذي عنونتُه:

(لطيزي)

(7)
مانيلاي

نحنُ مكونٌ من عنصرٍ قد سرقَ من أعمارِنا أجملَ ما فينا، ليسَ فينا تلكَ الميزةُ الموجودةُ في أيّ جهازٍ إلكترونيٍّ كالموبايل والحاسوبِ المحمول أو الحاسوبِ الأرضي، إنها ميزة (Delete) أو ما يُسمى حذفُ البيانات، أو الانتهاء من كلّ تلكَ الملفاتِ العالقةِ في رفوفِ الجهازِ بلا فائدةٍ ببرنامجِ (steward) أي الانتهاء من كلِّ البرامجِ في الجهازِ من غيرِ عودة، نحنُ كأدواتٍ بشريةٍ المنقذُ لنا فقطْ هو الموتُ كي يُمسحَ هذا الجهازُ المعقد، في ثقافاتِ آخر حتى الجسد بعد الموتِ يجبُ أن يصبحَ رمادًا تلتهمُه ألسنةُ النارِ

من أجلِ ألاّ يكونَ لضحيةِ الموتِ مكانًا للعودةِ إليهِ والبكاءِ على حافَةِ قبره،

قبرُها لا يزورهُ أحدٌ سواها، في كماشةِ الترابِ تابوتٌ قد هبطَ إلى أسفلِ الأرضِ بلا مراسمَ ولا مُشيّعين ولا تراتيلَ تَعزفُ ولا أجراسَ تُقرع، (مانيلاي) هكذا حُفر على قبرِها، من أصولٍ هنديةٍ قد هربتْ إلى قارةِ الأحلامِ أو القارةِ العجوزِ أوروبا، هربتْ من أجلِ ميولِها الجنسيّ باحثةً عن حبٍّ لمشاعرِها التي أدماها المجتمعُ بالخيباتِ والويلات، سُلِخَ لحمَها بسيخٍ مصفَّحٍ على ظهرِها وكتبتْ بالهندوسية بنار الآلهة:

(التوبة)

وصلتْ مانيلاي إلى العاصمةِ فيينا مع أواخرِ فصلِ الخريف، بشعرِها الأسود

وعينيها المتسعتين لحياةٍ جديدةٍ، دشَّنتْ فصلَ الشتاءِ بكذبةٍ ابتكرَها الإنسان:

(دعونا ننسى الماضي)

في منظمةِ المثليين في فيينا ساعدوها على أن تقفَ على قدميها، عالجوا التشوهاتِ في ظهرها، كانوا مسرورين لأنها وصلتْ إلى أوَّلِ خطوةٍ من حلمِ الحرية، عرفتُها في (الفيلا روز) منظمةٌ تساعدُ مثليي الجنسِ على اجتيازِ النظرةِ السلبيةِ للمجتمعِ المتدينِ وتحميهُم من لعناتِ وطعناتِ الماضي والحاضر، يعجزُ خيالي عن وصفِ بشرتِها الناعمة وشعرِها الأسودَ المنفلتِ للنورِ، وجلدِها الداكن له بريقُ النحاسِ المعتَّق، شهيةٌ كأنَّها غزالٌ بريٌّ في مجدِ الغابةِ وزوالِ مفترسيها،

لا أعرفُ كيفَ قطعتْ تلكَ المسافةَ الشاقة، ولا أعرفُ لمن سلَّمتْ جسدَها

وروحَها كي تصلَ إلى هنا، لم أفهم مساحةَ وحجمَ الألمِ الذي ألمَّ بها وجعلَ من ذاكرتِها الطفوليةِ ذاكرةَ أنثى عجوزٍ على قارعةِ النوافذِ الريفية، كانت سعيدةً جدًّا، لم تتخلَّ عن كلِّ تلكَ الاكسسواراتِ الهندية، نقطةٌ حمراءَ على جبينها،

ورائحةُ زيتِ جوزِ الهندِ تفوحُ من كلِّ تفاصيلها، وخلخالٌ يهزُّ الصمتَ ليصنعَ من حروفِ اللهِ موسيقى تجرفُ وتهرف،

سألتُها:

أراكِ سعيدة!

أخبرتني:

هل أخبركَ بسرٍّ يا أستاذ؟

عرفتُ أنني أهلًا للثقةِ أكثر من كلمةِ سر، أنا ذاكَ الكودُ بأرقامهِ الكونية، أجبتُها:

ما هو هذا السر؟

أشارتْ إلى فتاةٍ من أصول كنديةٍ، أنها سوفَ تبدأُ علاقةً معها، وأنها سعيدة جدًا ببدايةِ هذه العلاقة، وأن هناكَ قواسمَ مشتركةً بينها وبين حبيبتها الكنديةِ مادلين، إنها أستاذةُ علمِ النفسِ في قسمِ البحوثاتِ الطبيةِ في جامعةِ فيينا
وعبقريةٌ بعقليتها المُنفتحة.

غدًا سوفَ يكونُ لدينا موعدٌ أنا ومادلين في المقهى حتى نُرتبَ أمرَ علاقتنا!

سررتُ لأنها وجدتْ سعادتَها مع حبيبةٍ لها، وتمنيتُ لها التوفيقَ في هذه العلاقة، أخبرتْني بأنها سوفَ تزورُني في منزلي الأخضرِ بعد الانتهاءِ من الحوارِ العاطفيّ مع مادلين، وربما تأتي مادلين معها إلى منزلي،

وجاءَ الموعدُ ولم تأتِ، ودائمًا نحنُ مجبرونُ على الانتظار، و دائمًا مجبرونَ على تقبُّلِ الأعذار، ربما هناكَ سببٌ آخر لعدمِ مجيئها، ربما حدثَ شيءٌ ما، وفي الحقيقةِ كانَ الحدثُ بأنَّ سيارةً مسرعةً ارتطمتْ بها وبحلمها وبتعبها وفارقتْ الحياة.

لا جنازة، لا مراسيم، لا نارَ تلتهمُ جسدها، لا رجالَ دين، لا أجراسَ تُقرع، لا موسيقى تُعزف، حضرتُ دفنَها في المقبرةِ التي تضمُ اللا دينَ لهم، بكيتُ عليها كثيرًا، كنتُ قد أعددتُ لها حلوى الفراولة مع القشطةِ والعسل، الآن أكتبُها بلا مشاعر، لأن الحياةِ توصلُنا إلى حقيقة:

(لطيزي)

ولكنْ هناكَ أشياء لا يمكنُ للدماغِ أن ينساها على سبيلِ المثال، ذاك اللوحُ الرخاميُّ شديدُ الخضرةِ المحفورِ في وسطه:

(مانيلاي)

لا أعرفُ ما الذي ذكرني بكِ الآن، لعلَّ هناكَ من يَذكرني في الوقتِ الذي أكون فيهِ مكانك، أعتقدُ أنكِ الآنَ تحررتِ من الصوتِ والموتِ والحياة، غوصي في جوفِ الأرضِ ككنزٍ ثمينٍ لا يعرفُ أحدٌ قيمتَه سوى من فهمَ معنى الحرية.

وداعًا مانيلاي.

أحبكِ يا جميلة.

(8)

روان

نشعرُ دائمًا بأنَّ هناكَ منْ يُقيدُ مشاعرَنا ووجدانَنا ومساحةَ ظلِّنا من الحقيقةِ البائسة، نُطلقُ عليهِ موجةً من المشاعرِ المُهترئة، وكلٌّ منا يتذوقُ تلكَ الحاسةَ من الجهةِ التي يَخشى أو يَقوى على المضيّ بها، والمصيبةُ أنَّ الجميعَ لديهِ مشاعرُ الضحيةِ ولومُ الآخرينَ على ما حلَّ بنا، أوَّلُهم أنا وآخرُّهم أنت، نحنُ عصابةٌ من (الأنا) لا تُفكِّرُ إلا برغبتِها وإسعادِ شهوتِها من غيرِ أن نراعي رغباتِ الآخرين، لدينا حججٌ

واهيةٌ كاذبةٌ حمقاءُ وحقيرة، منسوجةٌ بسنَّارةِ الخيالِ وكرةٍ من الأسئلةِ التي لا تنتهي، جُلُّها من صوفِ الخرافِ المسروقةِ والمباعةِ في سوقِ اللُّصوص، لصوصٌ نحنُ لا نواجهُ ذواتِنا بالحقيقة، لصوصٌ مبعوثونَ من الآلهةِ كي نَسرقَ

ونَغتصبَ ونَحرقَ ونُدمرَ ونُدمِّي ونَجني

ونَسجنَ ونَسبي ونُزهقَ مشاعرَ غيرِنا بلا رحمةٍ ولا شفقة، لم يَطرحْ أحدٌ منا السؤالَ الأكثرَ سخريةً من واقعِنا القذر:

هل نحنُ على حقٍّ أم على باطل؟

سؤالٌ آخر يُواجهُ السؤالَ الأوَّل:

ومَن يُحدِّدُ الحقَّ من الباطل!

ربما غيركَ على حقٍّ وأنتَ على باطل، ربما أنتَ الباطلُ بحدِّ ذاتِه ووجودكَ باطل، ودُنوّكِ من كلِّ محسوسٍ باطل، إنها (الرُّبَّما) التي تَحصرُ ما لا قيمةَ لهُ في زاويةِ المبتدأِ ليصيرَ المحسوسُ خبرًا، يشيعُ بينَ الأسماعِ والأفواهِ كأنَّه جثةً

ومن بابِ إكرامِ الميت، وإكرامُ الميت دفنُه حتى ولو كان حيًّا!

روانٌ، اسمه أو اسمها، متحولٌ أو متحولة، مزيجٌ من المشاعرِ المؤنثةِ على شاكلةِ رجل، اختارَ أن يكونَ أنثى بشَعرِه الطويلِ وجسمِه النحيلِ وثدييه المنتفخينِ بالسلكون، هو أو هي مقتنعةٌ بما تفعل، متجهةٌ نحو ما تُدلي عليها مَشاعرَها، طيبةٌ وجميلةٌ وحنونةٌ وإنسانيةٌ وتتقبلُ كلَّ الناسِ لأنَّها إحدى ضحايا المجتمعِ المنغلقِ بقفلٍ إيمانيٍّ كاتمٍ للصَّوتِ

والصُّورة، وما إن فاحتْ صورتُها أو صورتُه كمثليّ جنسيّ يميلُ إلى مثلهِ حتى وُجهتْ سكينةُ المطبخِ على النار،

نارُ اللهِ المُحرقةِ التي أرادوا أن يحرقوهُ بها، أمسكوهُ في إحدى زوايا البيتِ

وأفرغوا على جلدهِ أقسى أنواعَ الضربِ

والشتم، أرادوا أن يُطهّروا شرفَهم برؤيةِ دمهِ يسيلُ على عتبةِ الدارِ من أجلِ أن تَشتمَّ الآلهةُ رائحةَ دمِه ويتيقَّن أنَّ الإيمانَ مستقرٌ في قلوبِ أهلِ البيت،

ولكن خانتهُم عزائمُهم في لحظةِ ارتباكٍ

وسؤالٍ مُحيّرٍ بين المجرمين:

من سيقتُلهُ بين الإخوة؟

كأنهُ يوسفَ وأفلتَ من شرورِ أخوته

وهرب، إنه كرديٌّ جبليٌّ من سلالةِ دمِ الصُّقورِ المجنَّحةِ التي لا تهابُ الناطحاتِ ولا تخشى السحاب، هربَ إلى تُركيا ومن هناكَ إلى اليونان، وزحفَ كغزالٍ أنهكتْه مطاردةُ بناتِ آوى حتى وصلَ إلى العاصمةِ فيينا.

جميلةٌ بكلِّ أُبَّهتِها روان، جميلةٌ كما تريدُ لا كما يريدُ غيرها، صديقةٌ لكلِّ مَن ليسَ لهُ صديق، تصدَّرتْ صورتُها مواقعَ التواصلِ الاجتماعي بجمالِها والصُّحفِ والمجلَّاتِ بما حصلَ معَها من جريمةٍ مقنَّنةٍ باسمِ الدِّينِ والتُّراثِ المُشبعِ بالدَّم، لا يهمُّها سوى أن تكونَ كما تريدُ أن تكون، و:

(لطيزي)

البشريةُ بكلِّ أفكارِها الإجرامية، لا تبرِّرُ لأحدِ ما تريدُ أن تفعلهُ بنفسِك، كأنْ تتغيَّرَ وتتبدَّلَ وتتجمَّلَ وتُسعدَ تلكَ الأرجوحةَ في حديقةِ صدركَ وتركبَ عليها وتطيرَ بين المنطقِ واللاَّمنطق، جمودُكَ وجحودُكَ وأسئِلتُكِ وتَجبُّرُكَ على الصَّمتِ والوقتِ يجعلُ منكَ آلةً أوتوماتيكيةً لصالحِ خفافيشَ الأحلامِ والسِّحرِ والخرافات، عليكَ أن تُحرِّكَ كلَّ تلكَ الأسئلة المبعثرة في صدى النَّفسِ والرَّأسِ والذَّاكرةِ كي تَنجو من لعنةِ الإحباطِ والإرباكِ والتَّخبُّطِ الذهني، كلَّما وجدتَ جوابًا مقنعًا واقعيًا منطقيًّا بعيدًا عن الأذى والدَّمويةِ قريبًا إلى انفرادكَ بكلِّ جزءٍ من حريَّتِكَ

وقراراتِك وأفعالكَ سوفَ تنجو من السّجنِ الأبديّ للمجتمعِ المُتقوقعِ في دائرة:

(نحنُ أهلُ الحقِّ وغيرنا على باطل)

روان كوني قويةً من أجلِ كلِّ شابةٍ

وشابٍ اختارَ أن يكونَ كما يُريدُ هو، لا كما يُريدُ الآخرون، أعرفُ الثَّمنَ الكبيرَ الذي دفعتِه، لا حريَّةَ بلا تَذكرةٍ دمويةٍ وطريقٍ موحلةٍ بالدَّمِ والتَّهميشِ، وفي النِّهايةِ ضَعْ القاعدةَ نُصبَ عينيكَ كي تَنجو بالحريةِ التي تقول:

(لطيزي)

اشتقتُ لكِ يا صديقتي، أنا آسفٌ لأنَّني كتبتكِ هنا، سيرتُكِ تَجلبُ لي القوَّةَ لأعودَ إلى الحياة.

(9)

ميخائيل

نظريةُ (تعلَّم أنْ تخسرَ كلَّ شيءٍ بأقلِّ الخسائر) كيفَ سأشرحُ لكَ هذهِ النَّظريةَ السخيفة؟ لا يهمُّ ما يَنتجُ بعدَ كلِّ خسارة، ولكن المهمُّ هو عدمُ خسارةِ الجهدِ الكبيرِ وأنتَ تُفكِّرُ في الخسارة، وتحميلِها حجمًا أكبرَ من

حجمِها، وحتى لو كانت الخسارةُ أكبرَ من حجمِها ماذا أنتَ فاعل؟

لا شيء، سوى ذرفِ الدُّموعِ على شيءٍ ربما يمكنُ تعويضه وربَّما لا، وربَّما يُحطِّمُ كلَّ مشاعركَ ويجعلُك تعاني الويلاتِ

ويسلبُ منكَ النومَ والسهرَ والجلدَ في الشيءِ المفقودِ إن كان مشاعرَ أو مادةً أو رغبة!

يُستحسنُ أن تضعَ نقطةً بعدَ كلِّ حربٍ كنتَ أنتَ القائد الوحيد في مضمارِها، يُستحسنُ أن تواجهَ ذاتَك بدلاً من إلقاءِ اللَّوم على الآخرين، وأن تأخذَ دورَ الضحية، وأنتَ في أغلبِ الأحوالِ شخصٌ كاذبٌ وتعلمُ جيدًا أنكَ مجرمٌ

وتحاولُ جاهدًا أن تُلفِّقَ كلَّ إشارتِ الاستفهامِ على كماشةٍ أو على شيءٍ آخر،

الشيءُ الآخرُ بأنني رفعتُ سماعةَ الهاتفِ وأردتُ الاتصالَ بصديقٍ قديمٍ لأطمئنَّ عليه، إنه تاجرُ مخدراتٍ أحمق، ولكنهُ صديقٌ طيبٌ جدًا، وكبيرٌ في السِّن،

يبيعُ بضاعتَهُ للمراهقين، ورأيتُه آنفًا قبلَ سنتينِ مستهترًا بالأمرِ ، وكان بيتُه عبارةً عن سوقٍ للخضار، بالمختصر 24 ساعةً الزبائنُ عِنده، كنتُ أعلمُ جيدًا أنَّ مادةَ الكريستالِ التي يبيعُها مغشوشة، ويخلطُها بمادةٍ أقل ثمنًا من أجلِ أن يربحَ أكثر،

أكثرُ من هكذا سيناريو هزليّ كوميديٍّ لم أرَ مثله في حياتي، ولكن ميخائيلُ رجلٌ طيبٌ وأحمقُ في نفسِ الوقت، ولديه دفترٌ للدُّيون، يُشبهُ دفترَ صاحبِ البقالةِ في القرى النائية، نصحتُه كثيرًا بأنَّ هذه الأزْمة في بيتكَ سوفَ تضرُّ بكَ وتأخذكَ إلى السجن، ولكنهُ كانَ مستهترًا ولكأني أخاطبُ جدارًا.

وهو صديقٌ فيسبوكيٌّ أيضًا، عندما أصدرتْ منظمةُ القلمِ النِّمساويّ كتابي

وكانَ جاهزًا ومطبوعًا إلى اللُّغةِ الألمانية، أرسلَ لي رسالةَ تهنئة وكان مسرورًا جدًا حيثُ كتبَ لي باللغة الألمانية:

(Ich bin sehr stolz auf deinen lieben Freund)

أي أنه فخورٌ جدًّا بي، سررتُ كثيرًا برسالتِه، وطلبَ مني أن يَشتريَ الكتابَ

وأكتبَ لهُ بعضَ الكلماتِ التافهةِ وأضعَ توقيعًا تافهًا وأتصورَ معهُ من أجلِ أن يَفتخرَ بينَ زبائنَه المراهقين بأنَّ لديه صديقٌ روائي.

فعلًا أخذتُ الكتابَ وكتبتُ عليه الجملةَ التالية:

(تعلَّمْ أن تخسرَ كلَّ شيءٍ بأقلِّ الخسائر)

ووضعتُ توقيعًا جميلًا وأنيقًا والتقطتُ معهُ صورةً جميلةً، جميلٌ جدًّا ميخائيل، ذو القلبِ الطيب، الحياةُ صنعتْ منهُ تاجرَ مخدراتٍ أحمق، لم يعرفْ معنى أن يكونَ هناكَ ثمنًا باهظًا بعدَ كلِّ متعة.

ميخائيلُ أحد ضحايا الجوع، لا عائلةَ، لا أصدقاءَ، ولا وجهًا حسنا، ولا أحدَ يأتي إليهِ إلا لمصلحةٍ شخصيةٍ كزبونٍ يريدُ مخدراتٍ أو أن يَستدينَ وبعدَ مُدةٍ يَدفع، المشكلةُ أنهمْ جميعَهم أطفالُ
ومراهقون وهو يحبُّ الجمهورَ الذي حوله بهذا السنِّ من الضياع، لأنه عندما بدأَ الحياة، كان بسنِّهم تمامًا،

رفعتُ الهاتفَ لأتَّصلَ به:

ألو هُنا السجنُ المركزيُّ لمدينةِ فيينا
من المتكلم؟

أنا زهير أبو سعد، أريدُ ميخائيلَ إذا سمحت!

حسنًا انتَظرْ قليلًا من فضلك.

تركَني للصمتِ كان في الانتظارِ موسيقى الراب السخيفة التي كانت تُصدرُها بريطانيا في الثمانينات، وقاطَعَني صوتُ ميخائيل:

صديقي الأستاذ زهير كيف حالك؟

صديقي ميخائيل مشتاقٌ لك، أنا في المشفى، أريدُ الاطمئنانَ عليك، هل أنت بصحةٍ جيدة؟ هل كلُّ شيءٍ على ما يُرام عندكَ في السجن؟

في الحقيقةِ كنتُ أسمعُ بكاءَه عبرَ السِّلك، وصوتَ نحيبِ العجوز الأحمق الذي كان يستهترُ بكلِّ شيء، أصدرَ صوتًا متقطعًا:

لقد قرأتُ كتابكَ أكثرَ من عشرينَ مرة،

وأجملُ شيءٍ قرأتُه العبارة التي كتبتَها في الصفحةِ البيضاءَ التي تقول:

(تَعلَّم أن تخسرَ كلَّ شيءٍ بأقلِّ الخسائر)

ميخائيلُ رجلٌ طيبٌ رغمَ غبائِه، أحدُ ضحايا المجتمع، متسرعٌ في تصرفاته، أمضى حياتَه بين السّجنِ

والحرية، ولكن هو من عشاقِ السجنِ لأنَّ كلَّ شيءٍ بالمجان.

كن بخيرٍ ميخائيل أحبُّكَ كثيرًا، أتمنى أن نلتقي يومًا ما بعدَ هذهِ الأزْمة، لا تكرهوا أحد، الحياةُ قاسية، ولا تخسروا أحد، فالدُّنيا ملعونة.

(10)
الخيال

كانتْ كلُّ قراراتي المصيريَّة فيما مضى أصدُرها بسببِ عواطفي وخيالي، كانَ المنطقُ من صغَري إلى سنِّ مراهقتي محذوفًا تمامًا، كنتُ ضحيةَ الخيالِ

الواسعِ والعواطفِ الزَّائفةِ والجارفةِ نحو الهاوية، كنتُ شخصًا لا يحبُّ المدرسة،

وأتمنى كلَّ يومٍ قبلَ هروبي إلى فراشِ النَّومِ أنْ يموتَ جميعُ المعلمينَ والمعلمات، وأن تصبحَ المدرسةُ عبارةً عن رمادٍ، كنتُ وما زلتُ أعتقدُ أنَّ المساءَ مظلةٌ لملايينِ الدَّعواتِ الصَّادرةِ من أفواه وقلوبِ الأطفالِ الذين في سنِّي، ولكن دائمًا كانَ هناكَ استثناءٌ في حياتي المدرسيَّةِ الابتدائية، الحِصَّةُ الوحيدةُ التي كنتُ أحبُّها حصَّةَ الرَّسمِ والفنونِ الجميلة، كنتُ متفوّقًا على جميعِ الطلبةِ بها وكان الطلبةُ المتفوقونَ في المجالاتِ الأخرى التي أكرهُها يلجؤون لي ويتوسَّلون أن أساعدَهُم في حصَّةِ الرسم، كنتُ أنا الملك في تلكَ المادةِ الذي لا يستطيعُ أحدٌ مجاراتي بها من طلبةٍ ولا حتَّى المعلمة نفسها،

ولكن كانَ هناكَ استثناءٌ في الكراهيةِ أيضًا، درسُ قواعدِ اللغةِ العربيةِ

ومشتقاتِها كانَ كُرهي لها ككُرهي للمدرسةِ وكُرهي للحياةِ في وقتي الآني، وكنتُ فاشلًا بها، الشيءُ الوحيدُ الذي أحببتهُ منها مادةُ التعبير، لا شكَّ أنني كنتُ أشطحُ بالنصوصِ وجميعُ الطلبةِ كانوا يضحكونَ عندما أقرأُ النصَّ بطريقةٍ مُلعثمةٍ ومُضحكة، كنتُ أنزعجُ من طريقةِ الاستهزاء، فأردُّ على استهزاءِ بعض الطلبةِ في حصةِ الرسمِ ولا أعيرُهم اهتمامًا، وكنتُ أسخرُ من رسوماتِهم المضحكةِ

وكانت القاعدةُ في مخيلتي:

(العينُ بالعينِ، والسنُّ بالسن، والبادئُ أَظلم)

وكانت معلمةُ اللغةِ العربيةِ تضربُني بقسوةٍ على يدي وعلى وجهي وظهري، كأنَّها تريدُ أن تُفرغَ بي غضبَها من فشلِها العاطفيِّ أو الاجتماعيِّ خلفَ سورِ هذهِ المدرسة، وكنتُ أتحمَّلُ الضربَ كأنني حمارٌ

يحملُ أسفارًا على ظهرهِ، وفي جمجمَتِه خيالٌ واسعٌ يَطيرُ ويُحلِّقُ أينما أرادَ وكيفما اتَّجه.

لم أكن أستحي من الفقرِ الذي أُلحقَ بنا بسببِ الأوضاعِ الاقتصادية، كلُّ ما كنتُ أفكرُ بهِ أن أُنجزَ شيئًا رغمَ صِغَرِ سني حتى أُثبتَ لأبي أنَّ تعبَهُ لم يذهبْ سدى، وإلى هذهِ اللحظةِ ما زالَ الناسُ يستعملونَ التنمُّرَ في حقِّ عائلتي لأنَّنا بُسطاءُ ولا نحملُ في قلبِنا كرهًا لأحد، في تلكَ الأيامِ وفي سنِّ العاشرةِ من عمري كانت معلمةُ اللغةِ العربيةِ تُطلقُ عليَّ كلَّ أنواعِ الشَّتائمِ والبغضِ وتلقبُّني:

(بحمارِ الفصلِ على وجهِ الخصوص،
وبغلِ المدرسةِ على وجهِ العموم)

كلامُها كانَ جارحًا لمشاعِري كوني كنتُ رسامًا مُميَّزًا في المدرسة، واستدعتْني مديرةُ المدرسةِ وكنتُ خائفًا جدًا، لأنَّها عندما تستدعيني كانت تشبعُني ضربًا قاسيا، وكنتُ أتحمَّلُ كلَّ الضربِ والقسوةِ والشتائمِ من أجلِ ألاّ يعرفَ أبي أنني طفلٌ غيرُ ناجحٍ في المدرسة، ذهبتُ إلى المديرةِ وكنتُ أرتجفُ من الخوفِ

والرُّعب، دخلتُ عليها وكانت تبتسمُ على غيرِ عادتِها وقالت لي:

(لقد حدثَ اختيارَكَ من قِبلِ مُنظمةِ طلائعِ البعثِ لتذهبَ إلى حمصَ وتشارك بمسابقةِ الرُّواد بمادة الرسم، عليكَ تجهيزُ أمتعتِك في بدايةِ الصيف، وسوفَ تنجحُ في هذا الفصلِ بشرط أن تأتيَ لمدينتِكَ

ومدرستِكَ بمستوًى عالٍ يَرفعُ اسمَ البلدِ

والمدرسةِ والمنظمة).

كنت مصدومًا، وسمعَتْ المدرسةُ بل المدينةُ كلها بالشيءِ الذي أُنزلَ على عاتقي بأنني أهلًا لهذهِ المسابقة، وكلُّ ما في دماغي هو أبي وأمي فقط وهذهِ الفرصةُ لإثباتِ وجودي ونجاحي في أمرٍ ما، وفعلًا ذهبتُ إلى حمصَ مُدةَ عشرةِ أيامٍ وأحرزتُ المستوى الأولَ بمادةِ الرسمِ على كلِّ المحافظاتِ السوريةِ وعدتُ من غزوتي إلى مدينتي كأنني حصلتُ على الدكتوراه في الرسم.

شهادةٌ ووسامُ استحقاقٍ وبعدها تصدرتُ المزيدَ من المسابقاتِ حيثُ حصلتُ على ثماني عشرةَ جائزة بالرسم، خيالي أنقذني في طفولتي للتغلبِ على الفشلِ الدِّراسيِّ ولكن في مراهقتي دمَّرني وحطَّمني بعدَ أن تركتُ الخيالَ وسلمتُه لمجالِ قفصِ العلومِ الإسلاميةِ في إحدى المدارسِ الشرعيةِ في دمشق، واليوم لا إنجازَ لي

وأنا على فراشِ المرضِ سوى القاعدةِ التي عرفتُها في نهاية حياتي:

(لطيزي)

صحيحٌ أنَّ الخيالَ جعلني رسامًا في صغري، وكاتبًا في كبري، إلا أنني أحاولُ قتلَ الخيالِ في ألمي الآنيّ ومواجهةَ الحقيقةِ بعد أن صرتُ أضحوكةً للُّغةِ

والرواياتِ التي يزيدُ عددها عن سبعٍ وعشرين رواية، هل انتصرتُ على اللُّغةِ أو حققتُ مطالبَ الخيالِ أو شفيتُ غليلي بالتفاهةِ والتظاهرِ بالقوة؟

كلُّ هذهِ الأسئلة لم تعدْ مهمةً بعد أن قطعتُ شوطًا من الكذبِ والنفاقِ وإهدار مشاعري لترميمِ مشاعر الآخرين على حسابِ صحتي ونفسيَّتي ومستقبلي،

وفي النهاية لا يسعُني إلا أنْ أحشرَ كلَّ الماضي بقرفهِ ونذالتِه في دبر القاعدةِ التي أسستُها في هذا الكتاب:

(لطيزي)

إلى كلِّ المعلماتِ والمعلمينَ في مادةِ اللغةِ العربيةِ الذين واجهتُهم في حياتي، وعلى رأسهِم المدرسونَ في المدارسِ الشرعية:

(أكرهكم بشدَّة وريتكم تلحسوا طيزي)

(11)

ياسر حمود

في بدايةِ السنةِ الرابعةِ في معهدِ المحدثِ الأكبرِ الشيخ محمد بدر الدين الحسني للعلومِ الإسلاميةِ طردوني من المعهدِ لأنَّ لديَّ أفكارٌ ضدَّ الإسلامِ كما يعتقدون، إنَّهُ مبنًى جميلٌ ومُهندَسٌ بطريقةٍ معماريةٍ جبَّارة، لهُ حديقةٌ وملعبٌ ومطعمٌ كبيرٌ

ومبيتٌ ضخمٌ للطلاب، الجهةُ الغربيةُ للمعهدِ مطلةٌ على مقبرةِ باب صغير، المدفونُ فيها عظماءُ سوريا من المسلمينَ السُّنةِ والشِّيعةِ والصُّوفيةِ والسَّلَفيةِ

والمُعتزلةِ والمتوردية، خليطٌ من العظامِ

والجماجمِ تحتَ تلكَ الأرض، بنوا لهذه المساحةِ الجغرافيةِ قيمًا ومبادئَ

وثقافة، وإذا بدك تجي على الواقع، فسوفَ أكونُ معكَ صريحًا واقعهم:

(بخري)

وفي روايةٍ أخرى:

(بفسي)

المهمُّ قبلَ الذهابِ إلى المعهدِ الشرعيِّ عارضتُ رأيَ والدي لأنهُ كانَ رجلًا يميلُ إلى العلمانيةِ نوعًا ما وحياتهُ مبنيةٌ على الكفاحِ الاشتراكي التَّافه، وكانَ مستغربًا كثيرًا كيفَ قفزتُ إلى هذهِ النَّقلةِ؟

من طفلٍ موهوب بالرَّسمِ إلى مُشبَعٍ بالأفكارِ الدينية، إنها مرحلةُ الهروبِ من الذاتِ وقفزةٌ عاطفيةٌ لا أسامحُ نفسي عليها فيما مضى، ولكن الآن:

(لطيزي)

غيرُ مهتمٍّ بها ولا بماضيها وأنا الآنَ أكتبُها من غيرِ خوف، لأنَّ هناكَ بعضُ الفضوليين والمتطفلين العرب حصرًا المعقودةُ أدمغتهم بمؤخراتِهم الممتلئةِ بالفضلاتِ

والروائحِ النَّتنةِ، كل مدةٍ من الزمنِ يسألوني السؤالَ المقرفَ حتى يُظهروا شجاعتَهم أمامي، ويعتقدون أنهم يريدونَ أن يُظهروا ضعفي بالماضي الخاص بي،

وهي لعبةُ أطفالٍ قذرة، ولكن أحجام من يلعبُها أكبر من مِئْذنةِ جامعِ بني أمية:

(كيف هيك، كنت تُدرس شريعة

وأصبحت روائي؟)

عشتُ معهم دهرًا ورأيتُ منهم عُهرًا، إنه زمنٌ قبيحٌ بكلِّ المقاييس ولكنهم يُلقبونه بالزمنِ الجميل، ولا أرى به أيَّةَ جماليةٍ سوى الذكرياتِ المؤلمة.

حملتُ حقيبتي نحوَ المدرسةِ الشرعيةِ

وأبي كان مُشتعلًا بالغضب، طبعًا بعدَ ما ضربَني وأشبعَني شتمًا وركلًا وفعسًا، استخدمَ معي كلَّ وسائل القوةِ لردعي عن دراسةِ الشريعةِ ولكنَّ أمي كانت تقول لي:

(لم أجدْ في حياتي أقسى من رأسك)

طبعًا أتشرَّفُ بهذا المدحِ أو ربما الذم،

واتَّجهتُ من غيرِ أن أنظرَ إلى أبي، وفي جوفِ المعهدِ الإسلاميّ كانت صدمةً كبيرةً ومُحيرةً بالنسبةِ لي، أن أجدَ الطلبةَ منشقين بعضهم عن بعضٍ ولا أحدَ يريدُ أن يُسلِّمَ أو أن يَتكلمَ مع الآخرِ بحجةِ أنَّ رأيَ فلانٍ يختلفُ عن رأيِ الآخر، وكنتُ في دوامةٍ لا متناهيةٍ بين ثماني فرقٍ متصارعةٍ ومتنافرةٍ في معهدٍ

واحد، أربعُ سنواتٍ على روتينٍ واحدٍ وكلما تقدموا بالسن ازدادتْ كراهيةُ بعضهم لبعض، بدءًا بالسَّلفيةِ التكفيريين الخوارجَ إلى المنعزلةِ الصوفيةِ القبوريين المنحلين بالخرافاتِ

والأوهام، جالستُ جميعهم، سمعتُ من الكلّ، لولا النظام الديكتاتوري القاسي في المعهدِ كانَ شلالُ الدَّمِ ينزفُ من رقابهم بسببِ الحقدِ والكراهيةِ والعنصريةِ،

والمصيبةُ أنَّ جميعَهم يدَّعون الفضيلةَ

والقدسيةَ وتمامَ مكارمِ الأخلاق، وإن دقَّقتَ النظرَ إليهم جيدًا، ستعرفُ أن لا أخلاقَ ولا فضيلةَ ولا قدسيةَ و لا وجهًا حسنًا بينهم، كلٌّ شيءٍ منافٍ عمَّا يتحدثونَ عنه،

كلٌّ هذهِ الجماجمِ منغلقةٌ على بعضها بأقفالِ النص، والنصُّ مُنزَّلٌ من السماء،

والسماءُ تُمطرُ على هذه الأدمغةِ خوازيق:

(لطيزي)

أُبشِّرُ العالمَ بأسرهِ بأنَّ حذاءَ الأممِ المتقدمةِ سوفَ يبقى على رؤوسِ هؤلاء الحثالةِ الذين يدَّعونَ أنَّ الجنةَ لهم وجهنمَ لمن خالفهم، ولا عملَ لهم سوى البحث عن عثرةٍ لمن خالفهم أو تهميش البشريةِ لأنهم هم أهلُ اللهِ وغيرهم أهل الشيطان.

طردوني من المعهدِ لأنني مخالفٌ لرؤيةِ جميعِ تلكَ الفرقِ من انفتاحٍ على العالمِ الجديد، عالمُ العولمةِ الرقميةِ وأنسنة النصوصِ والابتعاد عن لغةِ التفضيلِ وكما أقول دائمًا:

(لطيزي)

فهمتُم أم لم تفهموا هذا ليسَ من مُقرراتِ حياتي، ولكن للأستاذِ الذي كان سببًا بطردي من المبيتِ الداخلي:

(ياسر حمود)

مدرسُ السيرةِ النبويةِ في مُجمعِ بدر الدين الحسني، الذي يحوي أجسامًا بشريةً قابلةً للانفجارِ بأيةِ لحظة، أحبُّ أن أوجِّهَ لكَ رسالةً من النِّمسا إلى جُحركَ يا مُنشِئ الأجيالِ الإرهابية:

(ريتك تلحس طيزي وأنا مسهل)

لستُ نادمًا على الماضي، ولكنَّ التجربةَ كانت قاسيةً وجميلةً في وقتٍ واحدٍ،
والتحررَ من هذهِ القيودِ كان مُشرِّفًا بالنسبةِ لي لأنَّهُ ساعدني على أن أكتشفَ هذا العالمَ بحريةٍ وسلاسةٍ

وأعرفَ كم كنتُ غبيًّا عندما عاندتُ والدي وسرتُ في اتّجاهِ السَّرابِ والظَّلامِ الدَّامس:

(والذي رأى، ليس كالذي سمع)

وأقِمْ الصَّلاة.

(12)

أنا ابنُ أمي وأفتخر

(بدي أشيل جلدة طيزي وأحطها بخلقتي) مثلٌ سوريٌّ معروف، ولكنه مثلُ من اختصاصِ أهل دمشقَ وضواحيها من العصبيينَ الذينَ يدَّعون الإتكيت

والبريستيج العالي، وطالما أنَّ حديثَنا في هذا الكتاب يحملُ اسم "عالٍ" و "عارٍ" في نفسِ الوقتِ فيُمكن أن نختصرَ هذهِ الجملة الشوارعية بكلمتين فقط (لن أستحي). نحنُ ضحيةُ تلكَ المادةِ التي تُسمى (حياء)، ضبطُ هذهِ المادة ليسَ بالأمرِ السهلِ أبدًا وخصوصًا في مجتمعٍ يدَّعي الفضيلةَ وهو في قمةِ الرذيلة،

وأغلبُ من يقعونَ في الحياءِ هُم الفقراءُ أو الطبقةُ المسحوقةُ في مساحةٍ جغرافيةٍ تثرثرُ ليلًا نهارًا عن القيمِ

واحترامِ الإنسانِ والتَّرفعِ عن التَّكبرِ

والتفاخر، ليأتيَ شخصٌ شبعان، بطنُه أكبر من مُؤخرةِ فيل، ورأسُه مثل رأسِ بقرةٍ حلوبٍ على أُهبةِ الولادةِ ويقول:

(الفقر مش عيب ولا حرام)

حقكَ يا مولانا أن تتحدثَ وتُملي علينا ما هبَّ و دبَّ من النصائحِ والعِظاتِ
ومغامراتكَ التي قرِفها وعرَفها كلُّ من يعمل لديكَ بأجرٍ بخس، وأنا كلِّي فخرٌ بأنني من عائلةٍ مكافحةٍ رأتْ الويلاتِ حتى تحصلَ على لقمةِ خبزٍ مُغمَّسةٍ بمليونِ رفسةٍ ودفشةٍ ومع كلِّ هذا القَدْرِ الواسعِ من الألمِ ننامُ على أحلامِنا ليس رضًى بما صنعنا ولكن قد:

(أرهقَنا التعب)

التعبُ من كلِّ شيءٍ حتى ولو امتلأتْ جيبوبُك بمالِ الدُّنيا كلها وأصبحتَ مفخرةً في فنٍّ ما، أو مرجعًا في

أمرٍ ما فسوفَ تبقى ابنُ تلكَ الذاكرةِ التي يُطلق عليها "ماضيك"، لستَ مُجرمًا ولا مُجبَرًا على العودةِ إلى هناك، لأنَّ ماضيكَ كانَ مُشرِّفًا في عهدِ العبوديةِ والوجاهاتِ الكاذبة، تخيلْ أننا ورغمَ ما وصلنا إليه من تقدمٍ في التفكيرِ بسببِ الثورةِ الإلكترونية العُظمى وتناقلِ الفضيلةِ بكلِّ سهولةٍ وحُسنِ اختيارِ الكلامِ ليأتيَ شخصٌ حشرة، يعيشُ على الطفيليات، قد أخذَ دورَ المُنقبِ عن ماضي من سبقوهُ بالعلمِ والمعرفةِ وحتى بالتحرر ويقول:

(أليست أمكَ من كانت تعملُ في معملٍ للأحذية)

نعم، إنَّها أمي التي كانت تُخيط أحذيتَكم وأحذيةَ أبنائِكم حتى لا تمشي أمكَ المبجلة حافيةَ القدمين في الشارع، تخيلْ كان هذا الكلامُ قبلَ أن يحلَّ على المسلمينَ شهرُ الصيام، وكلُّ حديثِه عن الدينِ والفضيلةِ وأخذِ دورِ الضحيةِ لأنه لاجئٌ في أرضِ الحرية، ومع أنني

رحبتُ به في بيتي وأكلَ من طعامي وشربَ من شرابي إلاّ أنَّ هذه النزعة الدمشقية القذرة ما زالت في أدمغةِ بعضِ الناس، على فكرة يا أبا الحروفِ والأفكارِ، تهجُّمكَ حتى تُعيدني إلى عملِ أمي هذا شيءٌ يُشرفني، وعلى فكرة:

(لطيزي)

أنتَ وكلُّ شخصٍ على شاكلتكَ بدايةً من المُطبِّلينَ والمُزمِّرينَ الدمشقيين لكلِّ ديكتاتورٍ يأتي إلى سوريا ونهايةً بالمخبرين في دمشقَ القديمةِ الذين خرجتْ رائحتُهم الوطنية الديكتاتورية المبسترة من قبلِ الخمسينيات إلى عصرنا هذا، سبحانكَ يا رب:

(جينات)

ما في عتب عليكُم جيناتٌ بدمِكم من يومِ يومكم حرامية وسرسرية
ومحتالون وعنصريون، وأخرى كلمة سمعتُها:

(الشام شامنا، لو الزمن ضامنا)

الله على الوطنية المعفنة، لقد جاءَ اليومُ لأرى الدمشقيينَ حفاةً عراةً في العاصمةِ بسبب أغلبِ الخونةِ المتغلغلينَ بها، وإذا لم يعجبكَ المقال:

(لطيزي)

اِذهبْ واستمتعْ بجريدةِ تشرين أو البعث أو الشعب، ولكن رحلَتْ أمي وبقيَتْ ذكراها في كُتبي نورًا وسرورًا على روحِها يا روحَ أمك، لا تنسَ أنني وصلتُ إلى المثلِ الشعبيِّ الذي يقول:

(بدي أشيل جلدة طيزي وأحطها بخلقتي).

(13)

أنا لستُ أسفًا يا أنا

أنا ابنُ الشوارعِ المزدحمةِ بكلِّ وجوهِ الذاكرةِ التي نالتْ من عواطفي،

والممراتِ الضيقةِ بالأسماءِ المنسيةِ الخادعةِ الماكرةِ والناكرةِ للجميل، أنا ضحيةُ نفسي وسجنُ خيالي ومشاعري التي حرمَتني كلَّ جزءٍ من السعادة، أنا الذي أرى بهِ هذهِ الدنيا من ثُقبِ إبرة، أنا ابنُ الخوفِ والرعبِ والقلقِ والتوترِ

ونزعاتِ الاكتئاب، أمضيتُ الحياةَ

وأنا أبحثُ عن بصيصِ اهتمام، أو نقطةِ أمان، أو شيءٍ أشعرُ بهِ كذاكَ الذي يُطلقون عليه:

(حُب)

من أين ستأتي بكلِّ هذهِ المعادلات

وتضعُها في قالبِ تعاستي، صدِّقني كلُّ ما في الحياةِ من وسائلَ للسعادةِ لن تُسعدكَ إن لم تتفاعلْ معَها

بطريقةٍ كيميائية، أهدرتُ كلَّ مخزونِ مشاعري في إرضاءِ فلانَ وفلان، ودونَ مقابلٍ أتلقَّى الضربةَ تلوَ الضربةِ ضربية حظيَ المشردِ في عاصمةِ الجبناء، ودائمًا أخشى ذاكَ السؤالَ الذي يُطاردني كلَّما ابتسمتُ لأحدِهم مجاملة:

لماذا تفعلُ ما لا يُرضيك؟

نعم أخشى المواجهة، مواجهةُ الذاتِ بالذات، أخشى أن تُفتح الملفاتُ ويُنشرَ ذاكَ الألم الذي سبَّبَ لي ضياعًا يُطاردني كلَّما أقبلَ عليَّ ليلٌ وكلَّما أدبرَ خلفيَ نهار، كيف أصارحُ الورق؟ ولماذا كلُّ هذا الألم الذي لا أعرفُ مَصدرَه؟

خانتني الأقدامُ حتى أضحيتُ وحيدًا بلا أهل ولا صديقَ ولا حبيبة، وها أنا ذا أدفعُ ثمنَ كل ما سببتُهُ

لنفسي، تخيَّلْ بأنني لجأتُ إلى المخدراتِ قبل سنتين، تعاملتُ معَها كأنها مُنفذي الوحيدُ للهروبِ من واقعي، وبنيتُ علاقاتٍ مشبوهة مع أناس مجانينَ لعلّي أجدُ ذاتي، وأضحتْ الحقنةُ ملجأً لكلِّ هذا البُركان المُشتعل في أحشائي، وتركتُها بعدَ أنْ دُمرَ كلُّ شيءٍ في جسدي،

كنتُ أبحثُ عن منجدٍ لي كي يُنقذَني من تلكَ الكارثة، وأنا أغرقُ وأغرقُ في محيطٍ كبيرٍ لا شاطئَ له، لا أعرفُ من أين أتتني كلُّ تلكَ القدرةِ على أن أتوقفَ عن تعاطي السحرِ الأبيضِ القاتل، ولا أعرفُ كيفَ لجأتُ إلى الأطباءِ النفسيينَ كي يعالجونني من تلكَ الأزْمة، عانيتُ منها معاناةً أسوأَ مما تتصوَّروا، وأنا الآن أعتذرُ لنفسي كثيرًا بعدَ عامٍ كاملٍ من تركِ ذاكَ الغباء.

أعلمُ يقينًا أنَّ كلمة: (آسف) لمْ تعدْ تنفع،

وحتى كلمة:

(لطيزي)

لمْ تعدْ تنفع، وحتى لو نفعتْ وتفاعلتَ مع الأسفِ
أيضًا:

(لطيزي)

والله ما ضل غير كمان أبوس طيزي لترضى، هذا يلي كان ناقصني، خليني بمرضي أفضل، بعدَ العافيةِ إذا خرجتُ منها سوفَ أفعلُ كلَّ الأشياءِ التي لم أستطِع فعلها، وأولها أن أشتري كيلو كوكائين وأحقنُ به نفسي وأموت، هذه أكبرُ أمنياتي و:

(لطيزي)

الحياة ويلي فيها.

(14)

عمر برماوي

يُخبروكَ النظريةَ التي تقول:

(ليسَ لدينا مشكلةٌ مع انتمائِك، ولكن لدينا مشكلةٌ مع تصرفاتِك)

كلُّ يومٍ أسمعُ هذهِ النظرية مِن جميعِ مَن حولي، إن كانوا واقعيين أو افتراضيين،
ولأنني أنحدرُ من مجتمعٍ شرقيٍّ مُنغلقٍ بأقفالِ الفضيلةِ والابتعادِ عن الرذيلةِ فجميعهم يأخذُ دور:

(الناصح الأمين)

وتحتَ هذا العنوان النقدُ ممنوعٌ بتاتًا، لأنَّ النقدَ لهُ حدودٌ داخلَ إطارٍ قوميٍّ على دينيٍّ على تقاليدي، يعني نظامٌ توارثيٌّ مؤدلجٌ على التَّقنعِ والاستماعِ لمن هبَّ ودبَّ من غيرِ أن تُبديَ رأيَك، وإذا ما كنتَ مستمعًا متمرِّسًا على هزِّ الرأسِ والتبسمِ بالصرمايةِ العتيقة، فسوف تُجلدُ بالتصنيفِ فإما في النعيمِ وإما في الجحيم، وأكبرُ جحيمٍ عشتُه في حياتي هو القفصُ القوميُّ الدينيُّ المتعدد بالكراهيةِ والعنصرية، المُدَّعي الحضارة

وتقبلِ الآخرِ ألا وهو:

(المجتمعُ العربيُّ)

وأنا لا أدَّعي "التعميم" حتى لا يَصطاد مدَّعو النبوةِ والمدافعونَ والمنافحونَ عن الوهمِ عمَّى أرنو إليه، لديَّ صديقٌ افتراضيٌّ طيبُ الخُلقِ ودمثُ الملامح،

تستفزُّه كلمةٌ عابرةٌ ويَدَّعي أنه لا يَستفزُّه شيء، الشيءُ الوحيدُ بهِ أنه مهما اختلفنا فهناكَ شيءٌ واحدٌ فقط يجمعنا:

(حوران)

أظنُّ أننا تقاسمْنا في هذا الإقليمِ كلَّ أنواعِ الذكرياتِ بقوالبِ العاداتِ والتقاليد والمواريثِ الفكرية والعُرفية، كانت أقصى أمنياتِنا في حوران أن نجتمعَ ساعتين في مسبحِ المحطةِ في مدينةِ درعا، تخيَّلْ بأن نجمعَ فتاتَ الخبزِ اليابسِ وبقايا البلاستيك والألمنيوم والنحاس من أجلِ أن نجمعَ مبلغًا قدرهُ ثلاثون ليرةٍ سورية ، خمسُ ليراتٍ أجرةُ طريق، وخمسٌ وعشرونَ ليرة لدخولِ المسبح، هل رأيتَ أكبرَ أمانينا وطموحاتِنا!

أمضينا طفولتَنا في المزابلِ والبيادرِ

والخرباتِ لجمعِ ما يمكنُ بيعَه لسيارةِ الخردة، وكانت مدينةُ درعا البلد عبارةً عن ثكنةٍ مؤثثةٍ بالفلكلور من أعراسٍ

ومجالسَ عزاءٍ ومضافاتٍ منتشرةٍ هنا

وهناك، لا أحلامَ هنا سوى الوهم

والسراب، وبين تلكَ القواسمِ هو ذاكَ الصديقُ الذي عرفتُه هنا عبرَ الشَّاشةِ الرَّقميةِ للأصدقاءِ الافتراضيين، الكابتن الطيار:

(عمر برماوي)

أرسلَ لي يومَ أمسٍ عبرَ الواتساب ما يلي:

(من طرائفِ العرب،

يُحكى أن "أشعب" مرَّ بقومٍ وهم يأكلون

فقال لهم ماذا تأكلون؟

فأجابوه:

"سُماً"

يريدونَ التخلصَ من تطفله.

فقالَ لهم:

إنَّ الحياةَ من بعدِكم لا قيمةَ لها ثم جلسَ وأكلَ معهم)

أنا بدوري ولي تجربةٌ مع العربِ مُدةَ ثلاثين عامًا من حياتي الماضية رددتُ بسرعةٍ ولكن بطردٍ عابرٍ للقارات عبرَ رسالة ديلفري:

(هل رأيتَ يا عمر؟ هذا إن دل، فإنه يدلُّ على تطفلِ العربِ وأنهم لا يُحبونَ الخيرَ لبعضهم، والدرويشُ بالنسبةِ لهم شخصيةٌ فلكلوريةٌ في حياتِهم داعية للسخرية،

وأنا سعيدٌ بأنه جلسَ معَهم وكانَ لهُ نصيبٌ من طعامِهم، يا لهُ من مسكين)

الكابتن عمر حبيبُ قلبي، رشقَني بالدفاعِ عن العربِ والعروبة، ووصفني أنني أدعي التعميم، وأخبرني وللأمانةِ العلميةِ أنَّ هذهِ الثقافة موجودة في كلِّ المجتمعات،

وأكدَ لي أنَّ المجتمعَ الروسي من أقسى المجتمعاتِ وأغربها، وأضافَ أيضًا أنني لم أقرأ للأدبِ العالميّ لأعرفَ طبائعَ المجتمع، وأنهى الرسالةَ أنه يتمنى لي الشفاءَ العاجلَ وهذا أهمُّ شيءٍ بالنسبةِ له.

إنه كابتن طيران يُحلِّقُ فوقَ السحاب، قارئٌ جيدٌ ولكن مهتمٌ بالزاويةِ التي تحمي قيمه الخاصة، أحبُّ الحديثَ معَه مع أنني مختلفٌ عنه جذريًّا بالتفكيرِ

ونظرتي للوجود، ولكن دائمًا الاحترامُ سيدُ الموقفِ بيننا، الذي بيننا أكبر من الفلسفةِ والدفاعِ عن المثالياتِ والأوهامِ

والقيمِ التي اعرتها الحروب، الذي بيننا هو ذاكَ الهواءُ الذي نتمنى أن نعودَ إليه لأنه جزءٌ من ألمٍ قد ألمَّ بنا، أحبُّكَ يا كابتن وأتمنى لكَ الكثيرَ من القوةِ والأمان، أبو قصي الرائع أنا آسفٌ لأنني ذكرتُكَ في كتابي الذي عنونتُه:

(لطيزي)

ولكن أعلمُ بأنَّ صدرَكَ أوسع من أن يُدرجَ اسمكَ في كتاب، هو في مسيرة كتابتي أصدقُ ما كتبتُ وأنبله وأكثره حقيقة.

(15)

فاطمة جعفر

فكرةُ الخلودِ والعدم، مِفصلٌ زمنيٌّ بين الماضي والمستقبل، وجميعُنا عالقونَ في أن نكونَ أو لا نكون، بالروحِ وبالدمِ
وبالكلمةِ وبالفنِّ وبالقتلِ وبالحريةِ وبالدكتاتوريةِ وبأشياءَ لاتعدُّ ولاتُحصى، نُعاني وأنا واحدٌ منكم على إثباتِ الوجود، سؤالٌ يراودُني كلَّ ليلة:

لماذا تَكتب؟

أفكِّرُ في كلِّ حرفٍ لأهربَ من الإجابة،

وأعتقدُ أنني مكوكٌ متشابكٌ بالتناقضات، أخشى مواجهةَ الجواب، أنا أعرفُ الإجابةَ وأقنعُ نفسي أنني لا أعرف، وأُرقِّعُ ذاكَ السُّؤالَ بجوابٍ مُغلفٍ بالكذب، كأنْ أكذبَ على الصحافةِ والإعلامِ وعبر السوشل ميديا بالكلماتِ المصفوفةِ بجانبِ بعضِها وتفوحُ منها رائحةُ النفاق:

(أكتبُ لأهربَ من الواقع!)

واقعُ ماذا يا حبيب أمك؟ أين المفر؟

أنتَ تكتبُ لتكذبَ وليسَ لتهربَ كبقيةِ الكُتابِ الذين لديهم مجلداتٌ ومؤلفاتٌ

ومقالاتٌ ليصفِّقَ لها أسرابُ الضمائرِ المُباعةِ في سوقِ وزاراتِ الثقافةِ الغبية، عندما تضعُ حدًّا للخيالِ لن تعودَ مضطرًّا للكذب، إما أن تُواجهَ الواقعَ وتكتبَه من غيرِ أيِّ تلفيقٍ وإما أن تُكملَ مسيرتكَ الخياليةِ

بالكذبِ والنفاقِ وتمسيحِ الجوخِ للقضايا التي بالَ وتغوَّطَ عليها الدَّهرُ من آلافِ السنين، جميعُنا في تلكَ المعركةِ التي اسمُها إثباتُ وجودٍ وخوفٌ من الموتِ والخشيةُ المفرطةُ بالفناء!

عندما تتحررُ من الخوفِ وماهيةِ ما بعدَ الموتِ تُصبحُ حرًّا وجريئًا، تُغامرُ جزافًا بما تبقى معكَ من كلمة، الكلمةُ لا تَصنعُ خلودًا و لن تُبقيكَ حيًّا ولن تَخرجَ من رُفاتِك، ولن يبقى لكَ أثرا، أنتَ فقط تُغامر بالخيالِ وتخشى الحقيقة، أحبُّها تلك التي نَجتْ من أقفالِ المجتمعِ الهشِّ والقيمِ التي أضحتْ ممسحةً للبشرية، أحبُّ أن أكتبَ اسمها هكذا:

(نوال السعداوي)

لي صديقةٌ تدققُ ما أكتبُ بينَ كلِّ فصلٍ وفصل، مناضلةٌ بصفِّ الكلماتِ كما تُصفُّ قطعُ البقلاوةِ ويُصبُّ فوقها القطرَ المُحلَّى بماءِ الزهر، لا جديدَ في فلسفةِ أفكارِها،

ولكنها تجيدُ تبديلَ الحروفِ وصياغةَ الكلماتِ وتعتقدُ أنها تُعبّرُ عمَّا في داخلها، وأنا وهي وكلُّنا نعلمُ أنَّ كلَّ ما يتداولُه الكتابُ في المجتمعِ الشرقيِّ مُكررٌ

ومُقننٌ على حسبِ الاستراتيجيةِ لدكتاتوريةِ الوطنِ والمواطنِ والقيمِ المهترئةِ في تلكَ البقعة.

نسيجٌ من الكلماتِ يُنسجُ كلَّ يوم،

ويُشحن إلى المطابع، ويُدفن في الكتب، ويُوزعُ إلى المواطنِ الطفران الكافر بكلِّ مُقوماتِ وأفكارِ المجتمع، وجميعُهم يعلمُ أنهم كاذبون بامتيازٍ ولكن بشهادةِ خبرةٍ من أقربِ شعبةٍ للمخابراتِ في تلكِ المناطق.

الخوفُ من اللحظة، الخوفُ ممَّا بعد اللحظة، الخوفُ من الموت، الخوفُ من الفناء، الخوفُ ممَّا بعد الفناء، والحاضرُ مبهمٌ بالأمراضِ النفسيةِ المُزمنةِ بسببِ التراكماتِ القاتلة، على هذا السريرِ الذي أعاني فيه أقسى أنواعَ الألمِ أكتبُ لتلكَ الشاعرة والكاتبة:

(فاطمة جعفر)

إنَّ فكرةَ الوجودِ ونفيها، الخشيةُ من الماضي
والمستقبل، التهربُ من الواقعِ
والتكاتفِ معَ الخيال، التملصُ من الدفاعِ عن حريتكِ الشخصيةِ ودفاعكِ عن الحب، جنونُ تلكَ الصفاتِ وعدمُ القوةِ والقدرةِ على عنونة شيءٍ حقيقي، سوفَ يجعلُ منكِ كاتبةً مثلي تمامًا، كاتبٌ بلا هويةٍ غيرَ صفِّ الكلمات، اليوم الطبيبُ النفسيُّ قال لي:

(الحريةُ ليست هديةً تُقدمُ من غيرِ مقابل، عليكَ دفع الثمن)

نحنُ بحاجةٍ إلى القاعدةِ التي تقول:

(لطيزي)

حتى نستمرُ لإثباتِ وجودِنا، وطمسِ خَشيتِنا من الفناء، نحنُ بحاجةٍ لقوةٍ أكبرَ للتخلصِ من مصيبة:

(إثباتُ الوجود، والخوفُ من الفناء)

كوني قويةً يا فاطمة، كوني جديرةً بقضيةٍ واضحةٍ قبلَ أن يصلَ بكِ الحالُ لما وصلتُ إليه، وشكرًا جزيلًا

على وقوفكِ معي في هذهِ الأيامِ الحرجة، بل في الأزمةِ الصحيةِ التي أعاني منها، تحيةٌ طيبةٌ من النمسا على الوقتِ الذي أهديتِني إيَّاه لأكملَ هذا الكتاب.

(16)
إلبيرت

رصدُ الفكرةِ ليسَ بالأمرِ السهل، تركيبُ الفكرةِ في إطار، إنها معركةٌ حاسمةٌ بين تُعساءِ اللغة، لم توصلْ العالمِ إلى مشروبٍ جديدٍ يُلغي مهنةَ العقلِ ويَجلبُ جنونَ المشاعر، كلُّ المشروباتِ الرُّوحيةِ لا أحبُّها، أحبُّ أن أرى جنونَ الآخرينَ بعدَ الشرب، وهكذا، الفكرةُ كالمشروبِ تمامًا، ولكن كلُّ كاتبٍ لهُ تركيبةٌ خاصة، بعثرةُ الحروفِ

وبعدَها تجميعُ الكلماتِ تحتَ طائلةِ المسؤولية!

مَن المسؤولُ عن ضياعِ الوقتِ في مستودعِ البعثرةِ والتجميع؟

هذا السؤالُ عبارةٌ عن تُهمةٍ بالخيانةِ العُظمى في حقِّ البشرية، لذلك ليسَ عندنا مفكرون يُواجهون العقلَ بالبرهانِ الواقعي، عندنا مجموعةٌ من المهرجينَ في سيركِ بلاطِ الحاكم، وجميعهم هنا محكومٌ عليهِم وعلى عواطفهِم وعلى دينهِم وعلى انتمائِهم بالسجنِ المؤبدِ لدى السَّجانِ الأكبر في مسرحيةِ الحياة.

أنْ تُفكرَ عليكَ أنْ تشربَ كثيرًا وترتوي بالخمرةِ حتى تَغرقَ بالجنون، ومن نِعمِ العقلِ أنْ تكتشفَ ما يدورُ في تلكَ المساحةِ التي وُلدتَ منها وإليها تعودُ أو لا تعود!

في مساءِ الجمعةِ أذهبُ إلى الحانةِ التي خلفَ الأوبرا في مدينة فيينا، أحاولُ البحثَ عن البروفيسور إلبيرت، لا أعرفُ اسمهُ الكامل ولكن أحفظُ الاسمَ الأول، أنا لستُ مُفكرًا ولكن أصارعُ حَلْبةَ الحياةِ بما فيها لأجدَ فكرةً وأكتبها، الكاتبُ بالنهايةِ ناقلٌ لخبرٍ أو ناقدٌ لفكرةٍ أو لصٌّ لمسألةٍ مصيرية، والمُفكرُ مشاعٌ من الصمتِ إذا انفجرَ أبدع.

ثملٌ حتى نهايةِ العمرِ يُجالس العجائزِ بسنِّهِ لعله يَحظى بقُبلةٍ أو لمسةٍ من إحداهن، منتشراتٌ في كلِّ زوايا الحانةِ كالقارصِ الصيفي، ذكياتٌ وماكراتٌ ومائلاتٌ ومترنحاتٌ تبحثنَ عن رائحةِ رجلٍ حقيقيٍّ ليسَ عندهُ ميولٌ أخرى كميولِ الرجالِ للرجال، سمعتُ بالحانةِ من امرأةٍ قد ذهبتْ معهُ ليلةً كاملةً قبلَ ثماني سنواتٍ إلى أحدِ الفنادقِ في فيينا وكانت أجمل ليلةٍ في عهرِ العمر،

لم أسألْ عن التفاصيل، فكانت تتحدثُ بكلِّ شغفٍ عمّا جرى معها في تلك الليلة، وكنتُ استرقُ السمعَ والبصرَ خِلسة من وراءِ حجاب، وكأنَّ هذا الرَّجل جدي
وأخشى أن يضيعَ بينَ أفخاذِ النساءِ
وصدورِ العاريات.

أخذتُ بعضَ الأوراقِ من أحدِ أعمالي المترجمة حتى آخذَ رأيَه في النصِّ الأدبي، ومن حُسن الحظِّ أنه كانَ قد بدأَ ليلَته بأوَّلِ كأسٍ للفوتكا، رجلٌ غربيٌّ بمزاجٍ روسيٍّ يا لها من صدفة!

تحتَ عينيه بياضٌ خارقٌ يميلُ إلى الزُّرقةِ الشفافة، طاعنٌ في السن، قد كساهُ الشيبُ هيبةَ الرجال، وبدلةٌ وربطةُ عنقٍ كمشنقةِ المرجة في دمشق، وصخبٌ

عارمٌ في تلكَ الليلة، قدَّمتُ النَّصَ بعد أن ألقيتُ عليهِ التحية، نظرَ لي وسألني:

هل أنتَ من سوريا؟

سألته:

هل تُهمُّكَ الجغرافيا؟

أجاب:

أنتَ لا تهمني، ولكن أحبُّ سوريا كاِسم!

سألته:

هل تقصدُ الاسمَ فقط؟ أم أنَّ لكَ ذكرى جميلة في تلكَ البلاد؟

لم يُجِبْ ولكن قال:

ما فائدةُ تلكَ النُّصوصِ التي تُطبع؟ العالمُ كلُّه يعرفُ أنَّ البشريةَ تَكذبُ على بعضِها، ويختلقونَ القيمَ من أجلِ ضبطِ مصالحِهم الشَّخصية، ويفعلونَ أعيادَ ومراسيمَ
وتفاهاتٍ من أجلِ بيعِ السِّلعِ وتجميعِ الناسِ لكسبِ المال، وما فائدةُ المالِ في جيبِ شخصٍ لا يَستطيعُ ممارسةَ الجنس؟

قلتُ:

كيفَ ربطتَ كلَّ هذا الهراء؟

قال:

بالضبطِ إنهُ هراءٌ كبير، لأننا في مسرحيةٍ من تأليفِ وإنتاجِ الآلهة، وقد صدَّقنا دورَنا كدُمى، لم يَعدْ لديَّ أية مهمةٍ سوى شرب الفوتكا وأنت ما مهمتُك؟

قلت:

أن أجلسِ معكَ وأستمعُ إليك!

قال:

تَتركُ كلَّ النساءِ وتَجلسُ مع رجلٍ عجوز!

قلت:

أتيتُ لأسرقَ بعضَ الأفكارِ من هذا الرَّجلِ العجوز.

قال لي:

تَعلَّمْ الصيدَ ولا تَعتَدْ السرقةَ هذا أفضل.

اختفى إلبيرت، ولم يبقَ لهُ أثر، تَعلمتُ الصيد، ووقعتُ في سهمٍ أطلقتُهُ على فكرةٍ وواقعٍ في نظريةٍ تقول:

(لطيزي)

أتمنى أنْ تكونَ بخيرٍ سيّد إلبيرت، سررتُ بمعرفتِك، اِشربُ جيدًا فالحياةُ لا تستحق.

(17)
لعبةُ الغميضة

تحتَ تأثيرِ الصوتِ لا مكانِ للضوءِ هنا، أشباحٌ من مسرحيةٍ هزليةٍ في ضيافةِ الوقتِ الضائعِ للموتِ سرًا قبلَ أنَ يَصدرَ قرارَ تَجهيزِ الكلماتِ نحوَ مأواها الأخير، يُمكنكَ أنْ تتساءلَ كيف؟ ومن أين؟ تبدأُ بمزاولةِ مهنة القياسِ وأنتَ تحتَ تأثيرِ الصوت!

آلةٌ حاسبةٌ وأرقامٌ من نورِ الشيطانِ نَحسبُ معًا كم تبقى من الموتِ لنحيا؟

0%0= كلُّ شيءٍ لم تكتُبه بعد، الحقيقةُ والخيالُ ولعبةُ الغميضةِ وأطفالٌ يَركضونَ خلفَ وهجِ حرفِ العين، وفواصلُ مترامياتٌ تريدُ أن تعبثَ معي قبلَ أن أُنهي العدَّ التنازلي إلى ما تحت الصفر، وأحدُهم يصرخُ من جوفِ الجحيم:

(فَتّح!)

اثنانِ وثلاثونَ عامًا من البحثِ عنهم،
وكلَّما اقتربتُ نحوَ مخابئِهم أسمعُ ضحكاتِهم، وأرقامَ نصوصِ التوراةِ تُطبعُ في محرابِ الإمام، أوَ تَسخرونَ مني وأنا المُؤذِّنُ المحرومُ من قرعِ أجراسِ الكنائسِ يا عفاريتَ الجيران؟

أين أنتم؟

لا مكانَ للضوءِ هنا إلاّ أنا، أجذِّفُ في رمالِ الصحراءِ كي أصلَ إلى أعماقِ الشَّمس،

وأجمعُ كلَّ الترهاتِ في جيبٍ معطوبٍ يُنادي في سوقِ العبيد:

أن حيَّ على الفلاح.

لا مكانَ للوضوءِ هُنا إلا بآلةِ القانونِ

ومزمارِ الفراغ، ومع كلِّ هذهِ الظلمة أرتطمُ بكتلةٍ من السراب، يَغرُّني الوقوفُ عاريًا بلا لحمٍ يلفُّ ببقاياي ولا عظمَ أحرقُه لأدفِئَ بهِ بردَ المكان،

لا مكانَ للصَّمتِ هنا إلا أزرارَ الكيبورد،

وأنا أكتبُ وصايا الوجودِ في دُرجِ الوداعِ وقصاصاتِ كذبٍ مُشبعةٍ بالأملِ الزائِف
والتفاؤُل العَفنِ أُغلِّفُها بأشرطةِ النهايةِ كي أعودَ وحيدًا حيثُ البداية.

ومع كلِّ هذا التَّخبطِ الذَّهني لم أجدِ نفسي في معركةِ الزَّحفِ نحوَ المجهول، كانت في الضِّفةِ الثَّانيةِ من هذا العالمِ أغاني كثيرةٌ لم أعد أحبُّها سبَّبتْ لي عتبًا على الذاتِ وقساوةً في أروقةِ العواطفِ ومحكمةً دوليةً لمحاسبةِ كلّ شيءٍ يَدخلُ إلى أذني.

أريدُ النُّهوضَ مرةً أخرى كي أسمعَ سليمة مراد وناظم الغزالي وفهد بلان وصباح الشحرورة والتافهة فيروز بصوتِها الرائع وطبعِها الغبيِّ الأحمق، تعلمتُ القسوةِ من طريقتِها في الحياة، وما زلتُ أتعلمُ الابتعادَ عن مواضيعِ العضوِ الذي يَقودني إلى سماعِ تلكَ الكلماتِ التي تقول:

(أنا لحبيبي، وحبيبي إلي)

أطنانٌ مُطنَّنةٌ منَ الآذانِ المُشرَّعةِ للصباحِ تَسمعُ كلماتِها وتتناقلُها الأجهزةُ في أرضِ الأوهامِ والخرافاتِ ومصدرِ التَّكوينِ بينَ النونِ والسين، عبرَ الراديو والتلفزيون

وحتى في الصُّحفِ الباهتةِ التي تُشبهُ لونَ مكاتبِ صندوقِ النَّقدِ الدولي في ساحةِ المرجة وحمِّاماتِ جامع بني أمية الكبير، هنا الكلُّ تحتَ تأثيرِ لغةٍ واحدةٍ

ولحنٍ واحدٍ من منهجٍ قاسٍ ليسَ لهُ لونٌ ولا رائحة، ليسَ من المهمّ أنْ أبحثَ عن كلِّ هذا الهراءِ في هذا الكونِ وكلَّما اقتربتُ أكثرَ سمعتُ قهقهةَ الصغار:

(فَتّح)

كم بقيَ من الوقتِ لأجدَهمْ وأمرغَ وجودي بهم كلَّما أجهدَني التعبُ على البقاء؟ كم بقيَ من مسافةٍ لأسامحَ كلَّ تلكَ التجعُّداتِ التي جعلَتْ من وجهيَ خارطةَ طريقٍ لكلِّ كلمةٍ سمعتُها وهي تغني:

(أنا لحبيبي وحبيبي إلي)

لم يَعدْ هناكَ حبيبٌ ولا حبيبةٌ لي ولا لها
ولا له، كل ما بقيَ هو تلكَ النظريةُ التي تقول:

(لطيزي)

(18)

مالينا

كانتْ منسيةً على رفِّ القدر، تُصارعُ الحروفَ وينهشُ وقتَها عقربُ الزمن، تَكرهُ الأبراجَ ولُعبةَ التَّنجيمِ وسبورةَ الخطِّ العريض، مُقادةٌ من الأمنياتِ تتسارعُ معَها نحوَ غروبِ الأمان، تنتظرُ المحطاتِ والقطارَ والزمان، مدجَّجةٌ بقوةِ ميزانِ البحرِ إذا أُدرجَ معَ الصيف، وصيفٌ تُكرِّرهُ وأكرهُ حرارتَه معَها وأكرهُ أن أعودَ للوراءِ لأكتبَ سطرًا واحدًا، كيف بدأنا؟

سؤالٌ مَحشوٌ بالفُستقِ الحلبيّ ومُغطَّسٌ بالشوكولا الفرنسية، وانتظارٌ يَجلدُ انتظارًا لنعودَ صغارًا مع فراخِ البطِّ نعومُ فوقَ الغيومِ وأمِّي أمامَنا تُعلِّمُنا كيفَ يَكونُ الغطسُ والعومُ في مزبلةِ الحياة،

ومع كلِّ رائحةِ النَّتنِ التي تفوحُ حولَنا تَعايشنَا معَها وصرنا إوزَّاتٍ تُمارسُ مِهنةَ الدجاجاتِ البائساتِ في قِنِّها ونجلسُ على بيضِ غيرِنا لعلَّنا نصيرُ سلاحفَ تسبقُ الأرنبِ المغرور.

قالتْ لي صديقتي مالينا: إنها فخورةٌ بي لدرجةٍ لا توصف، وكلَّما خرجْنا إلى المطعمِ المُفضَّلِ لها لأكلِ الطَّعامِ التونسيِّ في الحيِّ الأولِ تهمسُ في أذني الكلمةَ ذاتها:

متى سوفَ نفتحُ شركةً معًا؟

مالينا إحدى ضحايا العائلاتِ الفاشلةِ والمتأذيةِ من العُنفِ الأسري، كان والدُها المصريُّ الأصل يضربُها ضربًا مُبرِّحًا حتى يُغمى عليها، وأمُّها كرواتية، ولكنَّ القدرَ الأبَ والأمَّ في النمسا، خمسُ سنواتٍ ولم يَكن هناكَ حلٌّ لهذه المشكلات، الأبُ فرعونيٌّ والأمُّ جبليةٌ والطفلةُ ضحية

في النهايةِ كلُّنا ضحايا آدم وحواء، عندنا من الكمَّاشاتِ والمصائبِ ما نُعلِّقُ عليهِ فشلَنا إلى أنْ يرثَ اللهُ الأرضَ ومن عليها وهو أحكمُ الحاكمين، فالمهمُّ يا أبا الحكمِ مالينا في الرابعةِ عشرَ رَفعتْ دعوةً على والدِها واتَّهمتهُ بجريمةِ شروعٍ بالقتلِ

ورَفعتْ دعوةً على أمِّها التي سكتتْ على هذهِ الجريمة،

البوليسُ أخذَ دورَه بالقبضِ على الأبِ
والأم، وأُثبتَتْ الجريمةُ عليهِما بعدما وجدَ الطبيبُ الشرعيُّ كسرًا في العِظامِ
وحروقًا كبيرةً في الجلدِ وآثارًا جانبيةً لضرباتٍ قديمةٍ، وأُغلقت الجلسةُ بسجنِ الأبوينِ وسُحبتْ الطفلةُ حيثُ دار الرِّعايةِ لتتعرَّفَ على أحدِ الشَّبابِ المُتسكِّعينَ وتسير خلفَه.

خلفَها الأمنياتُ كانتْ تبحثُ عن بصيصِ أمان، ولكنها في نهايةِ عطلةِ الأسبوعِ أخذَها معهُ إلى غرفةٍ قد استأجرَها،
ورقصوا وشربوا حتى سكرَتْ واغتصبَها بعد أن أخذَتْ المُخدراتِ تحتَ تأثيرِ الكحول، ولم يكتفِ بذلك حتى التقطَ صورًا معَها أثناءَ ممارسةِ الجنس.

وبقيَتْ تلكَ الفتاةُ تحتَ تأثيرِ التَّهديدِ

والمُخدراتِ ثلاثةَ أعوامٍ حتى انفجرَتْ من الضغطِ وساقَها القدرُ إلى منظمةِ حقوقِ المرأةِ لتأخذَ حقَّها بالقانون.

والآنَ ولله الحمد تعملُ في بيتِ دعارةٍ
والشغل مو عيب، وتُطبِّق قانون:

(لطيزي)

بحذافيره، وهي صديقةٌ طيبةٌ تَعرضُ عليَّ أنْ نَفتحَ بيتًا للدَّعارةِ ونتشاركَ معًا في الدولار، ولكن إلى الآن أنا أُفكر بالأمر،
وما أدراكَ لعلَّه بابُ خيرٍ ورزقٍ وبركة،
أليسَ الصبحُ بقريب، واللهُ قريبٌ
وزيادة.

مالينا تدعوني لنأكلَ طعامَ الكسكسي باستمرارٍ في كلِّ أسبوعٍ وتقول لي:

أنت الصديقُ الوحيدُ الذي أحبُّ الجلوسَ معه!

أقول:

ولكن ليسَ عندكِ أصدقاء

تضحكُ لأنَّها تقعُ دائمًا في ورطةِ لساني، أحبكِ يا حمقاء، اعتني بنفسكِ يا مجنونة، أراكِ قريبًا و:

(لطيزي)

(19)

كريستيان ومحمود

أتفهُ شيءٍ يَحدثُ لي أنْ أتحدَّثَ بصفةِ (الأنا) ودائمًا أحاولُ الهروبَ من تلكَ الصفةِ لأعيدَها تدريجيًّا إلى مكانِها الطبيعي، تَحطَّمتْ كلّ علاقاتِي في ليلةِ رأسِ السنةِ لعامِ 2020 للميلاد، ثقلٌ كبيرٌ على صدري أكادُ أن أختنقَ من هولِ النزولِ نحوَ الهاوية، وأسوأُ من الهاويةِ أنني عدتُ وحيدًا بلا صديقٍ ولا حبيبٍ

ولا حتى قريب، أُرقِّعُ تعاستي بوسيلةِ الصبر، وحتى الصبر قد أفلتَ من قبضتي بعدَ أن فتَرَتْ كلُّ قواي، وأنا ذاكَ الغريقُ الغريبُ في مستنقعِ المشاعرِ والعواطفِ المُنهارة، أريدُ أن أعودَ لأعترفَ بأنني

فاشلٌ بعلاقتي مع البشر، فاشلٌ بكلِّ شيءٍ وأسوأُ شيءٍ هو أن لا ميزانَ للصداقة، لعلَّ الناسَ يهربونَ مني عندما أواجِهُ غباءَهم وقيَمهِم بالمنطقِ والعقل، حتى جاءَ الخامس عشرَ من يناير لأتعرَّفَ في ذلكَ اليوم على شخصٍ ممرضٍ مؤدبٍ وثقةٍ ويُحبُّ الخيرَ من عائلةٍ مُحترمةٍ

وراقية:

(كريستيان)

قبلَ معرفتي بهِ كنتُ أذهبُ إلى الطبيبِ النفسيِّ الذي أعتقدُ جازمًا بأنهُ يحتاجُ طبيبًا نفسيًّا، وكنتُ قد قطعتُ جميعَ علاقتي مع البشرِ بسببِ بعضِ الخلافاتِ التي أودتْ بصفحَتي وتسبَّبتْ من بعدِها بتسرُّعٍ شديدٍ في القلب، الخوفُ والقلقُ

والأرقُ وجنونٌ مرعبٌ أدَّوا لأن أتوقَّفَ عن الكتابةِ مدةً تتجاوزُ عامًا كاملًا، كنتُ مضغوطًا جدًا لأنني كنتُ ضحيةً بين أشخاصٍ أجبروني أن أكونَ معَهم في اتجاهٍ خاطئٍ وللأسفِ ذهبتُ معهم، كنتُ مُهددًا من قِبَلهم بنشرِ أشياءَ خاصة بي،

وعندما اقتنعتُ قناعةً تامَّة بالنظريةِ التي أطلقتُ عليها:

(لطيزي)

قررتُ أن أقول: [STOP] وبالفعلِ وضعتُ نقطةً على أوَّلِ السطرِ لأبدأَ من جديد، ولكن دفعتُ الثَّمنَ غاليًا، صحَّتي

ومهنتي ومكانتي وحتى فقدتُ مشاعري وتَخبُّطُ نفسي قد جعلَ من قلبي واحةً فارغةً من الصوتِ والصورة، كانت أيامًا سوداءَ بمعنى الكلمةِ والتخلصُ منها أفقدني

توازُني ولذتي للحياة وتمنيتُ الموتَ مرارًا وتكرارًا، وحاولتُ الانتحارَ لأنَّ الأمرَ كانَ خطيرًا ووصلَ بي الضَّغطُ أن أُنهي حياتي مهما كلَّفَ الأمر.

كانَ من بينِ الصداقاتِ التي فقدتُها رجلًا نمساويَّ الأصلِ ولكنَّه مسلمٌ يُدعى محمود، وللآن أنا أدفعُ ثمنَ انتهاء هذه الصداقة بسببِ غبائي وعدم اهتمامي، كنتُ قاسيًا جدًا بالتعاملِ معه، مع أنه قدَّمَ لي الكثيرَ وإلى الآن لم يَتركْني ولكن منذُ سنتينِ لم أرَهْ ولم ألتقِ به، كلُّ ما في الأمرِ أنني كنتُ غبيًّا جدًّا

ولديَّ ضغوطٌ نفسيةٌ وصحيةٌ لم أشرحْ لهُ تفاصيلَها لأنَّها كانت جدًّا مُحرجة، كنتُ أحبُّ دخولَ بيتِه في الحيِّ العاشر،صوتُ أطفالِه:

أحمدُ المشاغب، إيمان الرقيقة، والجميلُ ياسين.

مشتاقٌ لهم كثيرًا، وبسببِ غبائِي فقدتُهم لأنني لا أُقدِّرُ معنى الصداقة والمحبة

والأخوة، أريدُ أن أطأَ على ما تبقَّى من كرامتي

وأعترفُ لمحمود أنني مُخطِئٌ جدًّا في حقِّه وأنا آسفٌ جدًّا.

اليومَ حصلتُ على صديقٍ يحملُ صفاتَ محمود وأدبِه وأخلاقِه وحُسن تربيتِه، الرائع:

(كريستيان)

عندما أرى كريستيان، يسألُني:

هل هناكَ شيءٌ يُزعجك؟ أو هل أنتَ بخير؟

أجيبُ وبكلِّ صراحة:

للأسفِ نعم، أنا منزعجٌ لأنني فقدتُ صديقًا عزيزًا، يُشبهكَ بكلِّ شيء، بالأخلاقِ والأدبِ وحُسنِ الوجهِ والصورةِ والسريرة، وأنا الآنَ أحاولُ أن أكونَ لطيفًا معكَ حتى لا أفقدكَ كما فقدتُ محمود الرائع.

مشتاقٌ لكَ يا محمود، وإلى جميعِ أبنائِك ، وتحيةٌ طيبةٌ مني ومن كريستيان وأمنياتِنا لكَ دائمًا بالسعادة.

ما فائدةُ الحياةِ إن لمْ ننسَ ونبدأ من جديد؟ ما فائدةُ الحياةِ إن لمْ يَكن بها قاعدة:

(لطيزي)

أعرفُ أنَّ كلمةَ آسفٍ لا تكفي يا محمود.

(20)

شروق ورزان

دائمًا في (حدا) أكبر من هالمدى، ممكن يكون (حديين) يعني شخصين، وبكل سيرة لازم يُختم بما يُسمى (مسك الختام)، لما لا يوجد شيء بكون يختم لي سيرة لشخصيتين، لا أريدُ البدءَ بالإشارة لفلان أو لعلتان، السيرةُ لقلبٍ مؤنثٍ ولكن بجسدين، ليسَ لديهما الجرأةُ أنُ تُعلِّقا أو تضعا أيَّ إعجابٍ في صفحتي، وذلكَ سببُه من المجتمعِ المُحاطِ بالرعب، تقولُ الدكتورة رزان الهجيري وحرفيًا:

(ما بسترجي علِّقلك أو حطلك إعجاب، ما شاءَ الله ، ربِّي يرزقني ربع قوتك لأنسف البشر نسف)

ولا أنسى بعدَ كتابةِ كلِّ روايةٍ الصديقة الكاتبة شروق المسالخي:

(أنت اكتب ونحنُ معك، وراح ضل أكتب مقدِّمات لرواياتك للنهاية)

عندما تفتحُ رواياتي الغبيةِ التَّافهة سوفَ تجدُ بعدَ الصَّفحةِ الثَّانيةِ تمامًا:

(مُقدمة)

ستعرفُ أوتوماتيكيًّا أنَّ من كتبَتْ المقدمةَ عانت كثيرًا بسببِ قلمي كما تَدَّعي، ولكن لا نُحمِّلُ الأقلامَ وِزرَ الأفكارِ إنْ كنا صادقين مع أنفسنا، نحن لسنا آلاتِ طباعةٍ في دارٍ للنَّشرِ كي تأتي إلينا الحاشيةُ وتُصفق لإنجازاتِ لصِّ البلد!

نحنُ الجناةُ ونحنُ الضحية، و دائمًا أقولُ بعدَ كلِّ نهايةِ كتاب:

(الله يعين الدكتورة رزان والأستاذة شروق على ما كتبتُ)

ثلاثُ سنواتٍ ونصف من الصدِّ والردِّ،
والكرِّ والفرِّ، مع كميةٍ منَ البشرِ لا تُسمنُ

ولا تُغني من جوع، ومع أنَّ الجوعَ أضحى ديدَني هذهِ الأيام فاللهُ يعينُ الطفرات، رائحةُ باذنجانٍ مقليّ يَسري من المطبخِ ونسائمُ النَّعناعِ والجرجيرِ
والبقدونسِ وصوتُ أمي يُنادي:

(حانَ وقتُ الفطورِ يا أولاد)

لا أعلمُ من أخبرَ أمي أنني جائع، ولكن صوتُها أشبعَني حتى الفِطام، التلفازُ والزَّاويةُ الشَّرقية للصالةِ، أفلامُ كرتونٍ على الفلمِ الكرتوني:

(السنافر)

عيونٌ مشدودةٌ كأوتارِ كمنجة، نخافُ أنْ تضيعَ منا لقطةً كرتونيةً ويُذكِّرُنا بها أحدُهم ونندمُ لأننا لم

نشاهدْها بسببِ غبائِنا، وصوتُ أمي الذي قاطعَ بابا سنفور:

(سنفروا بحياتِكم أيُّها السَّنافر)

وبينَ وضعِ مائدة الإفطارِ وصوت بابا سنفور نهجمُ على طبقِ البيضِ المقليِّ
والجبنِ والمكدوسِ وحباتِ الطَّماطِمِ
والخيارِ وبعدها الصحن المثالي، ولا يبقى لأمي شيئًا، تبتسمُ لصيصانِها الصِّغار كيفَ التهموا الإفطار، يقولُ لها أخي الصغير:

(وأنتِ)

تقول:

(لقد أكلتُ قبلَكم)

بحنانِ الأمهاتِ وعطفِ الأخواتِ يُذكِّرُني هذا المشهدُ بالصورةِ الزَّمنيةِ للصوتِ

والصمتِ للدكتورةِ رزان والأستاذة شروق، هل لي أنْ أكتبَ:

(شكرًا؟)

إذا شكرًا على كلِّ هذا الصبرِ قبلَ أن أهبطَ إلى قعرِ القبر، وتُجلى لي عظمة الشجاعة، تهبطُ على صدري ببسالة، أن تجدَني خلفَ تلكَ الأوهامِ هناك، وضعتُ الأوهامَ في تنُّورِ جدَّتي وأشعلتُ النارَ بهِ فلم أجد الآلهةَ ولا الناس، نظريةٌ واحدةٌ مقتنعٌ بها إلى هذهِ اللحظة:

(لطيزي)

الحياةُ وكلُّ من قابلتُهم إلاَّ من استثنيتُهم وذكرتُهم هنا أو لم أذكرهم، متعبٌ من كلِّ شيء ومتعبٌ مني، فهل حانَ وقتُ الوداع، لونُ عتمةٍ يَعلو سقفَ الغرفة، وصوتُ أمي ما زالَ يُنادي:

(هيا بنا نذهبُ هناكَ عرسٌ ينتظرُنا)

لا أمتعةَ، لا جوازَ سفر، لا أموالَ، لا جسدَ، لا أحد، ولا حاسد إذا حسد.